((الفصـــــل الأو ل))

((في المحكـم والمتشـابه ، والتأويـــل ، والتفويض ، وآراء العلماء في ذلك))

للعلماء في المحكم والمتشابه ، والتأويل ، أقوال كثيرة ، وآراء مستفيضة ، والأصل في ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران "
((هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأمـا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألبـاب) (١)
وعندما أريد أن أتكلم في هذا الفصل عن المحكم ، والمتشابه ، والتأويل ، والتفويـض وأذكر آراء العلماء في ذلك ، فانني سأتكلم في ذلك بايجاز ، لأن الاستفاضة في الكـلام عن هذا الموضوع تحتاج الى رسالة مستقلة . وسأقسم هذا الفصل الى مباحث "

المبحث الأول "

ورود ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم .

المبحث الثاني "

معنى المحكم والمتشابه في اللغة ، ثم في اصطلاح العلماء .

المبحث الثالث "

مناقشة الآراء وبيـان الراجـح منهـــا .

المبحث الرابع "

في (التأويل) ويتناول الكلام فيه ما يأتي "

أولا " ـــــ ورود لفظ (التأويل) في القرآن الكريم ، والمعنى المراد به .

ثانيا " ـــــ معنى (التأويل) في اللغة ، وفي اصطلاح العلماء .

المبحث الخامس "

في (التفويض) وبيان المقصود به عند العلماء .

---

(١) سورة آل عمران آية (٧)

((المبحث الأول))

((ورود ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم))

لقد وردت ألفاظ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم في أكثر من آية ، وبمعنيان مختلفة ، ذلك أن الله تعالى قد وصف القرآن مرة بأنه كله محكم ، ووصفه بأنه كله متشابه مرة أخرى . ووردت آية سورة آل عمران المتقدمة تبين أن القرآن منه ماهو محكم ، ومنه ما هو متشابه ، والحكم بيان ذلك .

أولا " (القرآن كله محكم) "

لقد ورد وصف القرآن الكريم بأنه كله محكم في آيتين من كتاب الله تعالى ، الأولى في سورة يونس وهي قوله تعالى "
(الر تلك آيات الكتاب الحكيم) (١)
فان لفظ (الحكيم) هنا بمعنى المحكم ، كما يقول ابن منظور ... فهو فعيل " بمعنى " مفعل . (٢)
والآية الثانية التي وصفت القرآن الكريم بأنه كله محكم هي قوله تعالى من سورة هود "
(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (٣)

فما هو المقصود بوصف القرآن الكريم بالاحكام في رأى العلما ؟ ربما تختلف عبارات العلماء ، وتتعدد أقوالهم في هذا الموضوع ، ولكنها تؤدي في النهاية الى معنى واحد تقريبا وهو أن القرآن محكم ، بمعنى " أنه لا اختلاف فيه ، ولا اضطراب ، يصدق بعضه بعضا ، وأنه فصيح الألفاظ ، صحيح المعاني ،

---

(١) سورة يونس آية (١)
(٢) ابن منظور " لسان العرب ١٢ / ١٤١
(٣) سورة هود آية (١)

يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، يميز في اخباره الصدق من الكذب ، وتسمي أوامره النهي من الرشاد ، فهو بهذا الاعتبار " (مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) (١)

ولا بأس من أن نذكر هنا بعض تلك الأقوال التى "

منها " أن المراد من كون القرآن الكريم كله محكما " هو إتقانه ، وعدم تطرق النقص والاختلاف اليه ، وإحكام نظمه ، أو من الحكمة التي اشتملت آياته عليها . (٢)

ومنها " أنه محكم بمعنى " أنه ليس فيه عيب ، وأنه كلام حق ، فصيح الالفاظه صحيح المعاني ، متقن متين ، لا يتطرق اليه خلل لفظي ، ولا معنوى ، ولا يتنابه تصدع ولا وهن . (٣)

ومنها " أن إحكام القرآن الكريم أتى من جهة الإتفاق الذى يعم آياته إذ هو يصدق بعضه بعضا ، فالإحكام الذى يعمه هو الإتفاق وتميز الصدق من الكذب في أخباره ، والنهي من الرشاد في أوامره . (٤)

أما ابن تيمية — رحمه الله تعالى — فيرى أن الإحكام يكون — أحيانا — في التنزيل ، وفي مقابلته ما يلقيه الشيطان ، مستدلا لذلك بقوله تعالى " (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) (٥)

وتارة يكون الإحكام في إبقاء التنزيل ، وعدم نسخه ، ويقابل المحكم حينئذ المنسوخ .

يقول ابن تيمية في ذلك "

((الإحكام تارة يكون في التنزيل ، فيكون في مقابلته ما يلقيه الشيطان ؛ فالمحكم " المنزل من عند الله ، أحكمه الله ، أى فصله من الاشتباه بغيره ، وفصل منه ماليس منه ، فان الإحكام " هو الفصل والتمييز ، والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل ايقانه .

---

(١) سورة الزمر آية ٢٣ (٢) السيوطي " الاتقان ٢/ ٢، محمد رشيد رضا تفسير المنار ٣/ ١٦٣ (٣) القاسمي " محاسن التأويل ٤/ ٧٥٢، الزرقاني " مناهل العرفان ٢/ ١٦٧ (٤) محمد بن ابراهيم الحسنى الصنعاني " ترجيح أساليب القرآن ص١٤٤ عن مسائل المقيدة الاسلامية ، رسالة دكتوراه مخطوطة . كلية أصول الدين بالأزهر . مقدمة من " عبد العزيز سيف النصر .
(٥) سورة الحج آية (٥٢)

وتارة يكون ـ الاحكام ـ في ابقاء التنزيل ، عند من قابله بالنسخ الذى هـو رفع ما شرع ... والسلف كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم ، أو رفع دلالة ظاهرة) (١)

فبكل هذه المعاني المتقدمة ، صدق أن يطلق على القرآن الكريم كله بأنه محكم.

ثانيا" (القرآن كله متشابه)"

سبق أن عرفنا أن القرآن وصف بأنه كله محكم ، وسنورد ـ هنا ـ ما يدل على أن القرآن الكريم قد وصف بأنه كله متشابه ، وذلك في قوله تعالى من سورة الزمر " (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد) (٢)

وواضح من الآية الكريمة في قوله تعالى "(كتابا متشابها) أن هذا الوصف يشمل القرآن جميعه .

فما المراد بالتشابه الذى وصف به القرآن هنا ؟

لقد قيل " ان المراد من وصف القرآن الكريم هنا بأنه كله متشابه ـ في حين أنه وصف فيما سبق بأنه كله محكم ـ أن بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق ، وفي سلامته من التناقض ، والاختلاف ، كذلك يشبه بعضه بعضا في هدايته وبلاغته ، وفي اعجاز ألفاظه ومعانيه . وهو عكس التضاد المختلف ، المذكور في قوله تعالى "

(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٣)

١ـ ابن تيمية " الاكليل . مجموعة الرسائل الكبرى ٢ / ٧، ٨

٢ـ سورة الزمر آية (٢٣) (٣) سورة النساء آية ٨٢)

وفي قوله تعالى من سورة الذاريات "(١)

(انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) (٢)

وبهذا التفسير لكلمة (المتشابه) التي وصف القرآن كله بها ، يظهر واضحا أنه لا تعارض بين وصف القرآن كله مرة بأنه محكم ، ووصفه مرة أخرى بأنه متشابه .

فالقرآن كله محكم ، باعتبار ، وكله متشابه باعتبار آخر ، ولا تعارض بينهما ، ولا خلاف بين العلماء في ذلك .

ثالثا " (القرآن بعضه محكم ، وبعضه متشابه)

وهذا هو (الاحكام الخاص) و(التشابه الخاص) . يقول الله تعالى في سورة آل عمران "

(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات . .) الآية .

فهذه الآية تدل بظاهرها على أن القرآن منه ما هو محكم ، ومنه ما هو متشابه ، وهما وصفان متقابلان ، فالمعنى الذي أريد من الوصف الأول (محكمات) مغاير للمعنى الذي أريد من الوصف الثاني (متشابهات) ، وأن ما قصد بالأول خلاف ما قصد بالثاني .

فما هو المقصود ـ إذن ـ بالمحكم والمتشابه في هذه الآية في رأي العلماء ؟

سيتبين الجواب عن ذلك في المبحث الثاني وهو ما سننتقل اليه الآن .

---

(١) سورة الذاريات آية (٨ ، ٩)

(٢) السيوطي " الاتقان ٢ / ٢ ، ومحمد رشيد رضا " تفسير المنار ٣ / ١٦٣ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١١٥

((المبحـــث الثـانـي))

((معنى المحكم والمتشابه في اللغـــة وفي اصطلاح العلماء))

(معنى المحكم في اللغة)

لمعنى (المحكم) في اللغة اطلاقات كثيرة ، ولكن بالرغم من تعدد تلك الاطلاقات الا أنها تتفق في معنى عام ـ كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا ـ وهو " المنـع " (١)

ويقول ابن منظور " ... والعرب تقول"

(حكمت ، وأحكمت ، وحكّمت بمعنى " منعت وردت ، ومن هذا قيل للحاكم بيـــن الناس حاكما ، لأنه يمنع الظالم من الظلم .

قال الاصمعي " أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم ، قال " ومنه سميت حكمـــة اللجام ؛ لإنها ترد الدابة).

وقال الأزهري "(وحكم الشيء ، وأحكمه ، كلاهما منه من الفساد) (٢)

إذن (فالمحكم) ـ وبناء على ما تقدم ـ هو منا يمنع باحكامه من تطرق الخلل والفساد اليـــه .

وبهذا القدر من تعريف المحكم في اللغة نكتفي ، إذ أننى لا أرى ما يدعو الى ذكـــر كل ماقيل في اللغة عن المحكم ، لاسيما وأن جميعهـا يعـود ـ كما سبـق ـ الى معنى عام هـو " المنـع .

وننتقل بعد هـذا الى ذكر معنى المتشابه في اللغـة .

---

(١) محمد رشيد رضا " تفسير المنار ٣/١٦٣ ، والزرقاني " مناهل العرفان ٢/١٦٦

(٢) ابن منظور " لسان العرب ١٢ / ١٤١ ، ١٤٣

(معنى المتشابه في اللغة)

يطلق (المتشابه) في اللغة على المماثلة بين شيئين ، ومهما تعددت عبارات اللغويين في هذا ، فانها لاتعدو أكثر من ذلك .

يقول ابن منظور"

(الشِّبْهُ ، والشَّبَهُ ، والشَّبِيه : المثل . والجمع " أشباه ..

وأشبه الشيءُ الشيءَ " ماثله ، وفي المثل " من أشبه أباه فما ظلم ،... وأشبهت فلانا ، وشابهته ، واشتبه علي ، وتشابه الشيئان ، واشتبها ، أشبه كل واحد منهما صاحبه ،... وشبهه إياه ، وشبهه به " مثله .

... والمتشابهات " المتماثلات ... والتشبيه " التمثيل) (١)

ومن هذا التعريف في اللغة لمعنى " (المتشابه) ، يظهر أن التشابه بين شيئين ربما يكون سببا في غموضهما ، وعدم التفريق بينهما ، لاسيما اذا كان التشابه قويا بين أمرين .

(المحكم والمتشابه في اصطلاح العلماء)

اختلف العلماء اختلافا كبيرا ، وتعددت آراؤهم في تحديد معنى كل من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ، الواردين في قوله تعالى من سورة آل عمران " (منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات) الآية .

ترى ما هي الآيات المحكمات ؟ وماهي الآيات المتشابهات التي عنى الله تعالى بهذه الآية من سورة آل عمران ؟

---

(١) ابن منظور" لسان العرب ١٣ / ٥٠٣

م/ب

ان الناظر في كتب التفسير ، وكتب العقائد يجد الآراء المتعددة ، والأقوال المختلفة في بحث المحكم والمتشابه ، ولا يكاد أن يخرج بنتيجة حاسمة للخلاف في الموضوع ، بل ربما يخطر للباحث ـ لكثرة الاختلاف ـ أن البحث في المحكم والمتشابه ، لمعرفة المراد بكل واحد منهما هو أمر من المتشابه ، وان لم يكن ذلك مقصودا بآية آل عمران . والذي جعلني أقول " ان البحث في معرفة المحكم والمتشابه هو نفسه من المتشابه هو أن كل ما عده العلماء متشابها قد تكلموا فيه بالتفسير ، والتأويل ، ولم يتركوا من ذلك سوى أخبار القيامة ، والبعث ، والحشر ، والجزاء ، أما ما عدا ذلك فقد أولت كل طائفة فيه بدلوها ، تارة بالتأويل ، وأخرى بالتفسير .

ولعل السبب في ذلك الاختلاف ، وكثرة الآراء ، هو عدم ورود نص شرعي يحدد معنى كل من المحكم والمتشابه ، ويحسم النزاع الواقع بين العلماء .

لذا فإنني سأذكر الآراء بإيجاز ، وسأبدأ بذكر ما نقل عن السلف في هذا الموضوع ، ثم أتبعه بآراء الأشاعرة ، ثم المعتزلة . وبالله التوفيق .

((أقوال السلف في المحكم والمتشابه))

القول الأول "

يرى أصحاب هذا القول أن المحكمات هي الآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام (١) من قوله تعالى " (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) ، وأربع آيات من سورة الاسراء (٢) من قوله تعالى " (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه) الى آخر قوله تعالى " (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) .

---

(١) سورة الأنعام الآيات " (١٥١ ـ ١٥٣)

(٢) سورة الاسراء الآيات " (٢٣ ـ ٢٦)

روى ذلك ابن جرير الطبرى في تفسيرة (١) من ابن عباس رضي الله عنهما والآيات الثلاث من آخر سورة الأنعام هي التى تسمى الوصايا العشر؛ لاشتمالها على عشر وصايا ، وموضوعاتها هي "

أولا "

النهي عن الاشراك بالله تعالى .

(قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا)

ثانيا "

الأمر بالاحسان الى الوالدين .

(وبالوالدين احسانا)

ثالثا "

النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر .

(ولا تقتلوا أولادكم من املاق) .

ثم عقب سبحانه هذا النهي بما يبعث الطمأنينة في النفوس، والتوكل عليه سبحانه وتعالى ، فقال " (نحن نرزقكم واياهم) .

رابعا "

النهي عن الاقتراب من الفواحش .

(ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن) .

خامسا "

النهي عن قتل النفس الانسانية الا بالحق .

(ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق)

سادسا "

النهي عن الاقتراب من مال اليتيم الا بما يصلحه وينميه حتى يبلغ اليتيم ويحسن التصرف في ماله .

---

(١) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/١٧٤ ، السيوطي " الاتقان ٢/٣

(ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده)

سابعا "

الأمر بايفاء الكيل والوزن، وعدم التطفيف فيهما .

(وأوفوا الكيل والميزان بالقسط).

ثامنا "

الأمر بالصدق في القول ، ولو كان على الأقربين .

(واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى).

تاسعا "

الأمر بالوفاء بالعهد .

(وبعهد الله أوفوا)

عاشرا "

الأمر باتباع سبيل الله المستقيم ، والنهي عن اتباع سبل الشيطان التى من شأنها أن تبعدهم عن سبيل الله .

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

وأما الآيات الأربع التى في سورة الاسراء، والتى ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنها من المحكمات فهي قوله تعالى "

(وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا .) (١) .

---

(١) سورة الاسراء الآيات "(٢٣ ـ ٢٦)

وكما هو واضح من الآيات ، فان موضوعاتها تكاد تتفق مع ما ورد في سورة الانعام، فقد أمرت بعبادة الله تعالى وحده ، وعدم الاشراك به في العبادة ، وأمرت ببر الوالدين باسهاب، وهو الموضوع الثاني من موضوعات سورة الانعام ، حيث بينت بوضوح ما يجب على الانسان تجاه والديه من طاعتهما ، فقد أمرته أن يقول لهما قولا كريما ، وأن يدعو لهما بالرحمة والخير، جزاء ما بذلا في تربيته وما لقيا من مشقة منذ طفولته حتى صار رجلا مكتمل القوى .

كما نهته عن عقوقهما ، والاضرار بهما ، وبينت له أقل ما يمكن أن يكون عقوقا لهما ، وهو ابداء التضجر بالتأفف أمامهما ، ومخاطبتهما بالصوت العالي ، والقول الجهوري ، فان هذه الأمور تتنافى والآداب الواجب مراعاتها تجاههما والاعتراف لهما بالفضل والاحسان .

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك ، بأنه يعلم ما يكنه الانسان في نفسه من خير وشر، ليكون ذلك رادعا له عن اضمار الشر، وحافزا له لأن تكون أعماله كلها صالحة حتى ما يضمره في نفسه ؛ لأن الله يغفر للصالحين التائبين ، وقد وردت بعض وصايا زائدة في سورة الاسراء على ما ورد في سورة الانعام ، وهي الأمر بدفع الحقوق الى اصحابها .

وقد اشتملت هذه الآيات ـ أيضا ـ على النهي عن التبذير ، لأنه صفة ذميمة، وهو من صفات الشياطين ، كما بينته الآية التي بعد هذه الآيات من سورة الاسراء ، وهي قوله تعالى "(ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) (١)

---

(١) سورة الاسراء آية (٢٧)

القول الثاني"

يذهب الى أن (المحكمات) هي " الناسخ ، والحلال ، والحرام ، والحدود ، والفرائض ، وما يؤمن به ويعمل به .

و (المتشابهات) " المنسوخ ، والمقدم ، والمؤخر (١) ، والأمثال ، والاقسام ، وما يؤمن به ولا يعمل به .

وهذا القول مروى من ابن عباس ، وقتادة ، وابن مسعود ، والسدي ، والضحاك وغيرهم . (٢)

ويجعلهم رضي الله عنهم (ما يؤمن به ولا يعمل به) من المتشابه صح أن يدخل المنسوخ في (المتشابه) ، وأعني بالمنسوخ ، ما نسخ حكمه وبقيت تلاوته ، أما ما نسخ تلاوة ، وبقي حكمه ، مثل آية الرجم وغيرها ، فلا يدخل في (المتشابه الذي (يؤمن به ولا يعمل به) ، لأنه يتعلق به عمل ، وهو تنفيذ الحكم في من يتعلق به ، والله أعلم .

القول الثالث"

هو أن (المحكم) ما أحكم الله فيه بيان الحلال والحرام .

والمتشابه " ما سوى ذلك يصدق بعضه بعضا .

روى ذلك عن مجاهد وعكرمة . (٣)

---

(١) مثال المقدم ، والمؤخر" قوله تعالى "(فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) .
روى عن قتادة أنه قال " هذا من تقاديم الكلام ، يقول "(لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، السيوطي " الاتقان ١٣/٢

(٢) ابن جرير الطبري" التفسير ٦/ ١٧٥ـ١٧٦ ، وابن كثير التفسير ١/ ٣٤٤ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١١٧

(٣) ابن جرير الطبري" تفسير ٦/ ١٧٦ . تحقيق محمود محمد شاكر . وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١١٧ .

القول الرابع "

هو أن (المتشابه) الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، مثل (ألـم) و (ألمـص)

وهذا القول يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما . (١)

القول الخامس"

أن (المحكم) قصص الرسل والانبياء مع أممهم مما قد بينه سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

و(المتشابه) ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير في السور ،كما قال تعالى في موضع من قصة نوح عليه الصلاة والسلام (احمل فيها) (٢) وقال في موضع آخر (فاسلك فيها)(٣) وقال في عصا موسى عليه الصلاة والسلام " (فاذا هي حية تسعى) (٤) وقال في موضع آخر "(فاذا هي ثعبان مبين) (٥) روى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٦)

---

(١) ابن جرير الطبري" التفسير ١ / ٢١٦، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٩

(٢) قال تعالى "(قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) سورة هود آية ٤٠

(٣) قال تعالى "(فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) سورة المؤمنون آية ٢٧.

(٤) (فألقاها فاذا هي حية تسعى) سورة طه آية (٢٠)

(٥) (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) سورة الأعراف آية (١٠٧)

(٦) ابن جرير الطبري" التفسير ٦ / ١٧٨، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٤٠ .

القول السادس"

يذهب أصحاب هذا القول الى أن (المحكم) مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا . و(المتشابه) ما احتمل من التأويل أوجهـا .

روى هذا القول من محمد بن جعفر بن الزبير ، ونقل عن الامام الشافعي ، والامام أحمد رحمهم الله تعالى . (١)

القول السابع"

هو أن (المحكم) ما عرف العلماء تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره . و (المتشابه) ما لم يكن لأحد الى علمه سبيل ؛ مما أستأثر الله بعلمه دون خلقه ، كقيام الساعة ، ووقت طلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك .

وهذا القول روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . (٢)

((أقوال الأشاعرة في المحكم والمتشابه))

القول الأول"

أن (المتشابه) هو الذي لا يعلم تأويله الا الله ، ومنه " الحروف المقطعة في أوائل بعض السور .

ذكر هذا القول ، البغدادي في كتابه (أصول الدين) ونسبه الى الحارث المحاسبي ، والقلانسي ، وغيرهما ، كالامام مالك والامام الشافعي ، وأكثر الأمة ، يقول البغدادي"

---

(١) ابن جرير الطبري " التفسير ٦/ ١٧٧ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص١١٨ ـ ١٤٠

(٢) ابن جرير الطبري " التفسير ٦/ ١٧٩ ، ١٨٠" وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص١٣٨

" (واختلف أصحابنا في ادراك علم تأويل الآيات المتشابهات ، فذهب الحارث المحاسبي ، وعبد الله بن سعيد ، وأبو العباس القلانسي ، الى أن (المتشابه) هو " الذى لا يعلم تأويله الا الله ، وقالوا " [illegible] منها " حروف الهجاء في أوائل السور ، وهذا قول مالك ، والشافعي ، وأكثر الأمة . ومن قال بهذا ، وقف على قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله) ثم ابتدأ من قوله تعالى " (والراسخون في العلم ...) الآية .

وقال البغدادى أيضا "

(وكان شيخنا أبو الحسن الأشعرى يقول " لابد من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن . واليه ذهبت المعتزلة ، ووقفوا من الآية على قوله تعالى " (والراسخون في العلم) ، والوقف الأول أصح عندنا ، وبه قال ابن عباس ، وابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وفي مصحف أبي " ومايعلم تأويله الا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به ... وفي مصحف ابن مسعود " (... وان تأويله الا عند الله ، ثم قال " والراسخون في العلم) اهـ (١)

القول الثاني "

أن (المحكم) هو ما لاتختلف فيه الشرائع ، كالوصايا العشر الواردة في سورة الانعام .

و(المتشابهات) ما يمكن أن تختلف فيه الشرائع ، كأعداد الصلوات ومقادير الزكاة ، وغير ذلك .

قاله الرازى في تفسيره بعد أن ذكر قول ابن عباس في أن المحكم " الآيات الثلاث من سورة الانعام فقال "

(وأقول " التكاليف الواردة من الله تعالى تنقسم الى قسمين "

منها " مالا يجوز أن يتغير بشرع وشرع ، وذلك كالأمر بطاعة الله تعالى ، والاحتراز عن الظلم ، والكذب ، والجهل ، وقتل النفس بغير حق .

---

(١) البغدادى " أصول الدين ص ٢٢٢

ومنها" ما يختلف بشرع وشرع ، كأعداد الصلوات ، ومقادير الزكوات ، وشرائط البيع ، والنكاح ، وغير ذلك ، فالقسم الأول هو المسمى بالمحكم عند ابن عباس ، لأن الآيات الثلاث في سورة الأنعام مشتملة على هذا القسم . وأما (المتشابهات) فهو الذي سميناه بالمجمل ، وهو ما يكون دلالة اللفظ بالنسبة اليه والى غيره على السوية . (١)

القول الثالث"

(للمتشابه) الآجال الحادثة ، كقيام الساعة ، والحشر والنشر ، التي خفي علمها عن الخلق ، واستأثر الله بعلمها دون خلقه ، فلم يطلع أحدا من خلقه على وقتها ، وكيفيتها لا نبي مرسل ولا ملك مقرب . وهذا القول ذكره امام الحرمين الجويني عن الزجاج ، وارتضاه هو ، وذلك بعد أن ذكر ـ الجويني ـ الخلاف في الوقف من آية آل عمران ، هل هو على قوله تعالى "(ومايعلم تأويله الا الله) أو على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) .

قال الامام الجويني رحمه الله تعالى "

(... والوجه الآخر في الكلام ما ارتضاه الزجاج (٢) حيث قال " أراد الرب تعالى بالمتشابه في الآية ، المواعيد التي انطوت من الخلق عواقبها ، كمواقع الحشر والنشر ، والساعة ، وهي التي تنقلب في السموات والأرض لا تأتي الا بغتة ، فوبخ الله تعالى الكفرة المعترضين ، عما ظهر من الآيات الباهرة . المتشبثين باستعجالهم ما توعدوا به من العذاب والعقاب ، واستكشاف موقع الساعة ومرساها ، ومختتم الدنيا ومنتهاها ، فوبخهم الله تعالى

(١) الفخر الرازي " التفسير الكبير ٧/ ١٨٢ الطبعة الأولى .

(٢) الزجاج (٢٤١ ـ ٣١١ هـ) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل ، عالم بالنحو واللغة ، ولد ومات في بغداد كان في فتوته يخرط الزجاج ، ومال الى النحو ، فعلمه المبرد وطلب عبد الله بن سليمان مؤديا لابنه فدله المبرد على الزجاج فأدب له ابنه الى أن ولي الوزارة فكان أبيه ، فجعله القاسم من كتابه ... هـ . الأعلام ١/ ٢٣ ط ١٠ الثالثة

لما صرّوا بالمتشابه ، واحتجوا من المتبين في الآيات . . . عتـــــوا منهم وعنادا ، وتعللا في دفع الحق ، وهذه الآيـة المطلقة فسرتها آيـــة من كتاب الله واضحـة (١) مشتملة على ذكر مساء لتهم عن الساعة ، واستعجالهم العذاب ، وابتغائهم استزلال الناس، والفتن بالتأويل ، أذ مآل الوعـــد والوعيـد هو وقوعهما ، وقد سمى الرب تعالى القيامـة تأويلا في قوله تعالى " (هل ينظرون الا تأويلـه) .

قال الجويني "(وهذا أحسن الوجـوه في الكلام على الآيـة) (٢) اهـ

وعلى الرغم من التباين بين قول الجويني هذا وبين قول الرازي المتقـــدم الا أن للرازي قولا آخر يتفق مع قول الجويني ، ذكره عند الكلام على معنـى التأويل فقـال"

(. . . واعلم أن المراد . . . أنهم طلبوا التأويل الذي ليس في كتاب اللـــه تعالى عليه دليل ولا بيان ، مثل طلبهم " أن الساعة متى تقوم ؟ وأن مقادير الثواب والعقاب لكل مطيع وعاصكم تكون ؟ (٣)

يضاف الى هذا أن بعض المتأخرين يرى أن آيات الصفات من المتشابـــه ذكره ابن تيميـة ، والشيخ محمود الألوسي في تفسيره (روح المعاني) فقال " (واعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات النقلية ، من الاستواء ، واليد ، والقدم ، والنزول الى السماء الدنيا ، والضحك ، والعجب ، وأمثالها من المتشابه) (٤)

هذا وبعد ذكر أقوال الأشاعرة في المحكم ، والمتشابه ننتقل الى ذكر بعـض أقوال المعتزلـة فيهما باختصار .

---

(١) لعل الآية المشار اليها هي قوله تعالى من سورة الاعراف(يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند اللـــه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) آية ١٨٧)

كذلك ورد السؤال عن الساعة في سورة الأحزاب آية (٦٣) ، وسورة القيامة القيامـة آية (٦) ، وسورة المعارج آية (١) وسورة النازعات آية (٤٢) اهـ

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن باب(السين)

(٢) الجويني " الشامل ص ٥٥٢ ط. عام ١٩٦٩م تحقيق د . على سامي النشار .

(٣) الفخر الرازي" التفسير الكبير ٧/ ١٨٨ (٤) ابن تيمية" تفسير سورة الاخلاص ١٤١ ، محمود الألوسي ، روح المعاني ٣/ ٨٧، والسيوطي " الاتقان ٢/ ٦، والراغب الاصفهاني المفردات في غريب القرآن، كتاب(الشين .

((أقوال المعتزلة في المحكم والمتشابه))

المعتزلة كغيرهم من الفرق قد اختلفوا في تحديد كل من المحكم والمتشابه الوارد ذكرهما في القرآن الكريم في سورة آل عمران . فقد ذكر أبو الحسن الأشعري — رحمه الله تعالى — اختلافهم في ذلك ، في كتابه "(مقالات الاسلاميين ..) وبين أن لهم ثلاثة أقوال ، ونحن نوردها عنا كما ذكرها هو منسوبة لأصحابها ، ثم نذكر من وافقهم في تلك الأقوال أو بعضها من أئمتهم المعتبرين فنقول "

القول الأول "

(أن المحكمات ما أعلم الله سبحانه ، من عقابه للفساق كقوله تعالى "(ومن يقتل مؤمنا متعمدا) (١) وما أشبه ذلك من آي الوعيد .

و (المتشابهات) ما أخفى الله عن العباد عقابه عليها ، ولم يبين أنه يعذب عليها كما بين في المحكم منه) .

وهذا القول نسبه أبو الحسن الأشعري الى (واصل بن عطاء) و(عمرو بن عبيد)

القول الثاني "

قال (ابو بكر الأصم " (محكمات) يعني حججا واضحة لا حاجة لمن يتعمد الى طلب معانيها ، نحو ما أخبر الله سبحانه عن

---

(١) سورة النساء آية (٩٣)

م ب

الأمم التي مضت ممن عاقبها ، وما يثبت عقابها ، ونحو ما أخبر عن مشركي العرب ، أنه خلقهم من النطفة ، وأنه أخرج لهم من الماء فاكهة وأبا ، وما أشبه ذلك . فهذا محكم كله ،... قال الله سبحانه "(آيات محكمات هن أم الكتاب) أي الأصل الذي لو فكرتم فيه عرفتم أن كل شئ جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم حق من عند الله سبحانه .

(وأخر متشابهات) وهو نحو ما أنزل الله من أنه يبعث الأموات ، ويأتي بالساعة ، وينتقم ممن عصاه ، أو ترك آية ، أو نسخها مما لا يدركونه الا بالنظر ، فيتركون هذا ويقولون " ائتنا بعذاب الله ...) .

القول الثالث"

نسبه الامام أبو الحسن الأشعري الى (الاسكافي) ، وهو أنه قال في قول الله تعالى "

(آيات محكمات) قال " هي التي لاتأويل لها غير تنزيلها ، ولا يحتمل ظاهرها الوجوه المختلفة .

و(أخر متشابهات) هي الآيات التي يحتمل ظاهرها في السمع المعاني المختلفة) (١)

وبهذا القول قال " القاضي عبد الجبار والزمخشري .(٢)

وبعد أن ذكرنا الأقوال الواردة عن السلف ، والأشاعرة والمعتزلة في المحكم ، والمتشابه ، دون تعليق عليها أو مناقشة ، ننتقل الى المبحث الثالث، وهو مبحث مناقشة الآراء وبيان الراجح منها .

---

(١) أبو الحسن الأشعري" مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ١ / ٢٩٣ـ٢٩٤ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م

(٢) القاضي عبد الجبار" شرح الأصول الخمسة ص: ٦٠ ط. الأولى ومتشابه القرآن ١ / ١٩، المغني ١٦ / ٣٧٩ (اعجاز القرآن) الطبعة الأولى .

والزمخشري" تفسير الكشاف ١ / ٤١٢ طبعة عام ١٣٨٥ .

المبحث الثالث

((مناقشة الآراء وبيان الراجح منها))

ذكرت في المبحث السابق أقوال العلماء في المحكم والمتشابه ، فذكرت سبعة أقوال للسلف ، وثلاثة للأشاعرة ، وثلاثة للمعتزلة ، وفي هذا المبحث سأناقش تلك الأقوال وأختار بعد ذلك الراجح .

ولما كنت قد ذكرت في المبحث السابق أقوال كل فرقة على حدة منفصلة عن أقوال الفرقة الأخرى ، ولما كانت هذه الفرق ـ ربما ـ تتفق آراؤها في قول أو أكثر ، فانني أرى أنه لابد ـ والحالة هذه ـ من اعادة تلك الأقوال ـ باختصار ـ والاشارة الى ما اتفقت عليه الفرق الثلاث أو بعضها من تلك الأقوال . فأقول وبالله التوفيق .

القول الأول "

لابن عباس رضي الله عنهما "

(المحكم) هو الثلاث آيات من سورة الانعام ، من قوله تعالى "(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا ... الآيات ة ومن سورة الاسراء من أول قوله تعالى "(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الي قوله تعالى "(وآت ذا القربى حقه) الآية .

وبهذا القول قال الفخر الرازى من الأشاعرة .

وكما هو واضح من سياق الكلام فابن عباس رضي الله عنهما لم يتعرض للمتشابه في هذا القول فهل معنى هذا أن ما عدا ما ذكر في آيات سورة الانعام والاسراء السابقتين يكون متشابها ؟

والجواب قد يكون ذلك !! لولا أنه ورد عنه تفسير المتشابه في قولين آخرين سنأتي على ذكرهما ـ ان شاء الله ـ أولهما ما ورد في القول الثاني المنقول عنه وهو الآتي .

القول الثاني "

لابن عباس، وابن مسعود ، وقتادة ، والسدى ، والضحاك وغيرهم .
(المحكم) الناسخ ، والحلال والحرام ، والحدود ، والفرائض ... الخ .
و(المتشابه) المنسوخ ، والمقدم ، والمؤخر ، والأمثال ، والاقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به .
وتفسير ابن عباس ومن معه ، المحكم بأنه الحلال والحرام ... الخ .
يتفق مع قول ابن عباس الأول اذ أن آيات سورة الانعام والاسراء التي ذكرها ابن عباس تتحدث عن الحلال والحرام ، وقد سبق أن ذكرت موضوعاتها بما يغني عن اعادته هنا .
والزيادة التي وردت في قول ابن عباس هذا أن المحكم " هو الناسخ ، والناسخ لا يخلوا من أحد أمرين "
اما أن يكون رافعا حكما دون أن يستبدل بحكم آخر عوضا عنه .
واما أن يكون رافعا حكما ومثبتا حكما آخر عوضا عنه وهذا الناسخ للحكم
اما أن يكون " أمرا بحلال أو نهيا عن حرام .
اذن فالقولان ـ الأول والثاني ـ في تفسير المحكم متفقان ، ولا تعارض بينهما لما بيّنا .
أما تفسير (المتشابه) هنا ـ بأنه المنسوخ ، والمقدم ، والمؤخر ... الخ .
فهو أحد قولي ابن عباس في المتشابه ، وسيأتي له قول آخر .
ولعل المراد بقول السلف هذا بأنه من المتشابه الذي لا يظهر لكل أحد فهو تشابه نسبي اذا خفي على شخص علمه آخر ،

واذا لم يعلم في عصر علم في عصر آخر . كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري فيما تقدم . (١) لا أنهم يريدون أنه متشابه لا يعلمه الا الله . وما يدل على ذلك أن ابن عباس قال لنافع بن الأزرق "(اني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم " أين ابن عباس فألقي عليه متشابه القرآن)؟!! (٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ذلك لنافع عندما سأله نافع عن قوله تعالى " (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (٣) مع قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) (٤) وقوله تعالى "(ولا يكتمون الله حديثا) (٥) مع قوله تعالى "(ربنا ما كنا مشركين) (٦)

فابن عباس رضي الله عنهما سمى هذا متشابها ومع ذلك فقد فسرها لنافع بن الأزرق مما يدل على ما سبق أن قلته من أن مرادهم بالتشابه في المنسوخ والمقدم .. الخ هو التشابه النسبي الذي لا يعلمه كل أحد كما لا يخفى على كل أحد .

القول الثالث"

قول مجاهد وعكرمة .

المحكم " الحلال والحرام .

والمتشابه " ما سوى ذلك يصدق بعضه بعضا .

وهذا القول يتفق مع قولي ابن عباس السابقين في المحكم .

أما قولهما في المتشابه " بأنه ما سوى ذلك يصدق بعضه بعضا . فلا شك أن المتشابه نفسه مع تشابهه يصدق بعضه بعضا ولا يتعارض أبدا .

---

(١) انظر القول الأول من أقوال الأشاعرة في المحكم والمتشابه .

(٢) انظر القصة مع تفسير ابن عباس لها ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري . كتاب التفسير سورة (حم) السجدة .

(٣) سورة المؤمنون آية (١٠١)

(٤) سورة الطور آية (٢٥)

(٥) سورة النساء آية (٤٢)

(٦) سورة الأنعام آية (٢٣)

القول الرابع"

قول ابن عباس رضي الله عنهما ·

بأن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل بعض السور ··· الخ ·

وهذا هو القول الثاني من قولي ابن عباس في المتشابه ·

وقد عزا البغدادي في كتابه (أصول الدين) هذا القول الى الحارث المحاسبي ، والقلانسي ، وغيرهما ، أمثال الامام مالك والامام الشافعي ، وأكثر الأمة كما سبقت الاشارة الى ذلك ·

وقد ذكر هذا القول أيضا ابن جرير الطبري في تفسيره ، ورجح أن تكون هذه الرواية عن ابن عباس هي المراده بالمتشابه ، بالرغم من تضعيفه لها في موضعين من تفسيره ، وذلك بسبب محمد بن السائب الكلبي وهو متهم بالكذب · (١)

القول الخامس"

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ·

(المحكم) قصص الأنبياء والرسل مع أممهم ··· الخ ·

(والمتشابه) ما اختلفت ألفاظه في قصصهم واتفقت معانيه عند التكرير في السور ··· الخ ·

وهذا التشابه من تشابه الألفاظ على القارئ لتكرارها في عدة سور بألفاظ مختلفة · أما معانيها فلا اختلاف بينها ·

---

(١) ابن جرير الطبري " التفسير ١/ ٦٦ ، ٧٦ الخبر رقم (٧٢)

والكلبي " هو " محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي ·

انظر ترجمته ، وما قيل فيه · تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني ١٧٨/٩ وما بعدها · الطبعة الأولى ·

والذهبي " ميزان الاعتدال ٥٥٦/٣ ط· الحلبي ·

القول السادس"

عن محمد بن جعفر بن الزبير، والامام الشافعي، والامام احمد .

(المحكم) مالا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا .

و(المتشابه) ما احتمل في التأويل أوجها .

وبهذا القول قال الفخر الرازي من الأشاعرة، والاسكافي والزمخشري، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة .

القول السابع"

روى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

أن (المحكم) ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره .

و(المتشابه) مالم يكن لأحد الى علمه سبيل بما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه ،كقيام الساعة، ووقت طلوع الشمس من المغرب ... الخ .

وبهذا القول، قال الجويني والرازي من الأشاعرة، والزجاج وأبو منصور من اللغويين، وأبو بكر الأصم من المعتزلة .

ويرى بعض المتأخرين أن آيات الصفات من المتشابه .

ذكر هذا الرأي ابن تيمية ونسبه الى بعض المتأخرين (١)

وذكره الشيخ محمود الألوسي، في تفسيره لآية سورة آل عمران، .

والقول بأن آيات الصفات من المتشابه لايتفق مع مذهب السلف فيها كما ذكر ذلك الشيخ الألوسي، تعقيبا على هذا القول، حيث قال"

(... ويذهب السلف، والأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ من اعيانهم ـ كما دلت على حاله الابانة ـ أنها صفات ثابتة وراء العقل، ما كلفنا الا اعتقاد ثبوتها مع اعتقاد عدم التجسم والتشبيه، لئلا يضاد النقل العقل) (٢)

(١) لعل ابن تيمية يقصد بالمتأخرين، بعض الأشاعرة .

(٢) الألوسي " روح المعاني ٣/ ٨٧

ومع ذلك فيمكن الجمع بين القولين والتوفيق بينهما طالما كان الجمع ممكنـــا .
وابن تيميـة ـ رحمه الله ـ قد ذكر كلاما في هذا الموضوع يمكننـــا أن نعتبره جمعا بين القولين السابقين في موضوع الصفات ، فهو يرى أن بين الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصف بها بعض خلقه ألفاظا ومعانـــي بينهما قدر مشترك ، وقدر فارق هو مراد في كل منهما ، ونحن لا نعـــرف الفارق الذي امتاز به الرب سبحانه ، فصرنا نعرفه من وجه دون وجـه (فالمعنى الذي يراد به في حق المخلوقين لا يجوز أن يكـــون نظيره ثابتا لله) . مثال ذلك الاستواء ، حيث وصف الله به نفســـه ووصف به بعض خلقه ، يقول ابن تيميـة "

(قوله ـ تعالى "(ثم استوى على العرش) فانه قد قال (أي في حـــق المخلوقين) (واستوت على الجودي) (١) وقال ـ تعالى "(فاستوى علـى سوقه) (٢) وقال ـ تعالى ـ "(فاذا استويت أنت ومن معك على الفلـك) (٣) وقال ـ تعالى ـ " (لتستووا على ظهوره) (٤) فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوى الى المستوى عليه وأنه لو عدم من تحته لخر ، والله تعالى غني عن العرش وعن كل شئ ، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش وحملة العرش ، وقد روي أنهم إنما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم أن يقولوا " لا حول ولا قوة الا بالله " .

فصار لفظ الاستواء متشابها ، يلزمه في حق المخلوقين معان يتنزه الله عنها ، فنحن نعلم معناه ، وأنه العلو والاعتدال ، لكن لا نعلم الكيفيـة التي اختص بها الرب ، التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش بل مع حاجة العرش وكل شئ محتاج إليه) من كل وجه . وأنا لم نعهد في الموجودات ما يستوي على غيره مع غناه عنه ، وحاجة ذلك المستوى عليه الى المستوى فصار متشابها من هذا الوجـه ، فان بين اللفظين والمعنيين

---

(١) سورة هود آية (٤٤)
(٢) سورة الفتح آية (٢٩)
(٣) سورة المؤمنون آية (٢٨)
(٤) سورة الزخرف آية (١٣)

قدرا مشتركا وبينهما قدرا فارقا هو ، مراد في كل منهما ، ونحن لا نعرف الفارق الذى امتاز الرب به فصونا نعرفه من وجه ونجهله من وجه ، وذلك هو تأويله ، والأول هو تفسيره . (١) وهذا تفريق جيد وحسن ، بين معرفة المعنى ، ومعرفة الكيف ، وهذا التفريق من ابن تيمية يتفق مع تعريفه للمتشابه (الخاص) الذى يقابل المحكم (الخاص) الواردين في سورة آل عمران .

يقول ابن تيمية في تعريفه للمتشابه (الخاص) "

(والمتشابه الخاص هو " مشابهة الشئ لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر ، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله وليس كذلك) (٢) والامام محمد عبده ـ رحمه الله تعالى ـ يوافق ابن تيمية في هذا المعنى إذ يقول "

(التشابه إنما يكون بين شيئين فأكثر ، وهو لا يفيد عدم فهم المعنى مطلقاً)(٣)

وهذا المعنى الذى اختاره ابن تيمية والامام محمد عبده هو ما ذكره أبو الحسن الأشعرى ـ رحمه الله تعالى حيث قال فيما ذكره عنه البغدادى ـ (٤) (أنه لابد من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن) . وعلى هذا يكون التشابه نسبيا فاذا خفي على بعض العلماء علمه آخرون ، في أى عصر من العصور .

---

(١) ابن تيمية تفسير سورة الاخلاص ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) ابن تيمية " التدمرية ضمن مجموعة الفتاوى . ط " الرياض ٣/ ٦٢

(٣) محمد رشيد رضا " تفسير المنار ٣/ ١٦٥

(٤) انظر القول الأول من أقوال الأشاعرة في المحكم والمتشابه .

القول الثامن"

نسبه أبو الحسن الأشعري الى (واصل بن عطاء) و (عمرو ابن عبيد) أن (المحكم) ما أعلم الله سبحانه من عقابه للفساق كقوله تعالى "(ومن يقتل مؤمنا متعمدا)(١) وما أشبه ذلك من آي الوعيد.

و(المتشابه) ما أخفى الله عن العباد عقابه عليها ولم يبين أنه يعذب عليها كما بين في المحكم منه.

وقول واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد هذا مخالف لما نقل عن السلف من أن آي الوعيد كلها من المتشابه.

(فقد اشتهر ـ كما يقول ابن تيميه ـ عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه، وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به، وذلك لا يأتي به الا الله)(٢)

ولعل واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد قد بنيا رأيهما هذا على اعتقادهما بأن الفساق مستوجبون للعذاب والخلود في النار، وأنه لا تنفعهم شفاعة الشافعين) فيكونون بقولهم هذا قد وافقوا الخوارج في الحكم الأخروي على مرتكب الكبيرة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وان كانوا قد خالفوا الخوارج في أحكام الدنيا بأن جعلوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين. ولا اعتبار لقولي المعتزلة والخوارج، لا في الحكم الدنيوي ولا في الحكم الأخروي على مرتكب الكبيرة، لمخالفتهم نصوص الكتاب والسنة، الدالة على أن الفاسق تحت مشيئة الله ان شاء غفر له، وان شاء عذبه، وأنه ان دخل النار فسيخرج منها اذا كان موحدا.

---

(١) سورة النساء آية (٩٣)

(٢) ابن تيمية "تفسير سورة الاخلاص ص ١٣٠

وأما تصريفهما للمتشابه " بأنه ما أخفى الله عن العباد عقابه عليهـــا ... الخ فهو ـ في نظري ـ يدور حول فكرتهما السابقة في المحكم ، وفـــي حكمهم على مرتكب الكبيرة ، ليؤيدوا به رأيهم في ذلك الحكم . والا فان مـــا أخفاه الله عن العباد أكثر من أن يكون مجرد اخفاء العقاب على بعض الأمور كما يزعمـــون .

وبعد أن اتضح لنا في هذا البحث أن الآراء في المحكم والمتشابه صارت ثمانيـة بعد حذف المكرر بين الفرق منها ، وبعد مناقشتنا لتلك الآراء ، لم يبق أمامنا غير (بيان الراجح منها) وقد رأيت أن أؤجل بيانه الـــى ما بعد المبحث الرابع الـذى سنخصصه لبحث معنى (التأويل) في القرآن وفي اللغة وفي اصطلاح العلماء حتى نتبين معانيه المراده ، فقد يساعدنا معرفة معنى التأويل المقصود في آية آل عمران على (بيان الراجح) مـــن أقوال العلمـاء في المحكم والمتشابه . والله أعلم.

((المبحث الرابع))
في
((التأويل))

ذكرنا معنى المحكم والمتشابه وآراء العلماء في ذلك ، في المبحث السابق، وننتقل في هذا المبحث ، لبيان معنى (التأويل) وسيتناول الكلام فيه ما يأتي "—

أولا " ورود لفظ (التأويل) في القرآن والمعنى المراد منه .

ثانيا " معنى (التأويل) في اللغة وفي اصطلاح العلماء .

أولا "

ورود لفظ" (التأويل) في القرآن الكريم .

ورد لفظ (التأويل) في القرآن الكريم في سبع سور ، وتكرر في خمس عشرة آية من هذه السور ، بالاضافة الى أن لفظ(التأويل) تكرر في بعض هذه الآيات أكثر من مرة .

السورة الأولى "

وأول سورة ورد لفظ (التأويل) فيها هي " سورة آل عمران وهي موضع الخلاف بين العلماء قال تعالى "

(... فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولو ن آمنا به كل من عند ربنا) الآية (١)

---

(١) سورة آل عمران آية (٧)

السورة الثانية" سورة (النساء) قال تعالى "

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) (١)

قال ابن كثير ، والجلالان في معنى قوله تعالى "(وأحسن تأويلا) أي أحسن عاقبة ومآلا . (٢)

وورد في حاشية الجمل على الجلالين قوله "(مآلا) أي" فالتأويل هنا بمعنى (المآل والعاقبة ، لا بمعنى التفسير والتبيين ، فله اطلاقان . (٣)

السورة الثالثة" سورة (الأعراف) قال تعالى "

(هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ...) الآية (٤)

(التأويل) في هذه الآية بمعنى العاقبة والمآل .

يقول ابن كثير في قوله تعالى "(هل ينظرون الا تأويله) " أي ما وعدوا به من العذاب والنكال ، والجنة والنار (يوم يأتي تأويله) أي يوم القيامة . (٥)

السورة الرابعة" سورة يونس) قال تعالى "

(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) الآية (٦)

قال في تفسير الجلالين "(ولما يأتهم تأويله) أي عاقبة ما فيه

---

(١) سورة النساء آية ٥٩

(٢) ابن كثير " التفسير ١/ ٥١٨، والجلالين ١/ ٣٩٥ مع الجمل ط" ١٣٧٩هـ ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٣ ، والزمخشري " الكشاف ١/ ٥٣٦

(٣) حاشية الجمل " الفتوحات الالهية ١/ ٣٩٥

(٤) سورة الأعراف آية ٥٣

(٥) ابن كثير ، التفسير ٢/ ٢٢٠، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٢ وتفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢/ ١٤٨، والزمخشري "الكشاف ٢/ ٨٢

(٦) سورة (يونس) آية (٣٩)

من الوعيد ، وقد روى ابن تيمية هذا عن الضحاك . (١)
(فالتأويل) في هذه الآية كسابقتها بمعنى العاقبة والمآل .

السورة الخامسة"

سورة (يوسف) عليه الصلاة والسلام .
وقد تكرر لفظ(التأويل) فيها في ثماني آيات هي" —

قوله تعالى "

مخبرا عن قول يعقوب لابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام"
(وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) الآية .

وقوله تعالى "

(وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث)

وقوله تعالى "

(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) الآية .

وقوله تعالى "

(قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون)

وقوله تعالى "

في خطاب يوسف لأبيه عليهما الصلاة والسلام "
(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ...) الآية .

وقوله تعالى "

حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام"
(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث) (٢)

---

(١) تفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢/ ٣٥٠، وابن تيمية تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٢ ، والزمخشري " الكشاف ٢/ ٢٣٨ .

(٢) الآيات من سورة يوسف عليه الصلاة والسلام على الترتيب(٦ ، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١)

(فالتأويل) الوارد في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام المتعلق بالرؤيـــا ٠ بمعنى " (التفسير والبيان) من غير خلاف بين المفسرين فيما أعلم ـ (١) ماعدا قوله تعالى من تلك السورة "

(قال لا يأتيكما طعام ترزقانه ٠٠٠) الآيـة فقد ذكر المفسرون فيها قولين (٢) " الأول " بمعنى " التفسير ٠ والثاني" بمعنى " الماهية والكيفية (أى الحقيقة

السورة السادسة"

سورة (الاسراء) قوله تعالى "

(وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيـــر وأحسن تأويلا) (٣)

أى أحسن مآلا وعاقبة ٠ (٤)

السورة السابعة"

ســـورة الكهف ٠

وقد ورد لفظ (التأويل) فيها بمعنى التفسير في آيتين منها هما" قوله تعالى "

(قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا)

وقوله تعالى "

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) (٥)

---

(١) ابن كثير " التفسير ٢ / ٤٦٩، ٤٧٣، والجلالين مع حاشية الجمل ٢/ ٤٣٥، ٤٤٣

(٢) ابن كثير " التفسير ٢/ ٤٧٨، وتفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢/ ٤٥٣، والزمخشرى " الكشاف ٢/ ٣٢٠ ط" الحلبي ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م

(٣) سورة الاسراء آية (٣٥) (٤) تفسير الجلالين مع حاشية الجمل ٢/ ٦٢٥ (٥) سورة الكهف آية ٧٨، ٨٢)

أى هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء "(١)
ويتضح لنا مما تقدم من الآيات التي ورد فيها لفظ (التأويل) وأقوال العلمـــاء في تفسيرها أن لفظ(التأويل) الوارد في القرآن الكريم قد استعمل في معنيين "

الأول"

التفسير والبيان ،كما هو واضح من الآيات الواردة في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام من غير خلاف بين العلماء ـ فيما أعلم ـ ما عـــدا قوله تعالى فيها (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويلـــه) حيث ورد فيها عن المفسرين قولان تقدم ذكرهما .
كذلك ما ورد في سورة الكهف من لفظ (التأويل) أن المراد بـــه التفسير وقد سبق ذكر الآيات بمعناها بما يغني عن اعادته هنا مـــرة أخـــرى.

أما المعنى الثاني " من معاني لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم فهو العاقبة والمآل ، والمرجع ، والمصير ،كما ورد في الآيـــات ـ المتقدمة ـ من سورة النساء ، والأعراف ، ويونس، ويوسف في قوله تعالى (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكمـــا بتأويله) بالأخذ بقول بعض المفسرين بأن المراد بالتأويل فيها (الحقيقة) اذ لعل المفسرين يرون الحقيقة والعاقبة والمرجع والمصير متداخلان اذ أن لكل حقيقة مآلا ومرجعا ولكل مآل حقيقة . والعلم عند الله .

ولم يرد ذكر لآية سورة آل عمران في أى من المعنيين السابقين، وقد أجلنا الكلام عنها والمراد (بالتأويل) فيها حتى نستوفي الكلام عن معنى (التأويل) في اللغة وفـــي اصطلاح العلماء الذى سننتقل الى البحث فيه .

---

(١) ابن كثير " التفسير ٣/ ٩٨، ١٠٠ ط" الحلبي.

ثانيا "

معنى (التأويل) في اللغة وفي اصطلاح العلماء .

اتضح لنا مما تقدم أن لفظ (التأويل) الوارد في القرآن الكريم لا يخلو عن واحد من معنيين ، هما " التفسير والبيان، أو العاقبة والمآل ، وهنا — تحت هذا العنوان (معنى التأويل في اللغة) — لم يكن هدفنا التعرف — ابتداء على معنى (التأويل) لأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ، فلا يمكن أن يكون هناك خلاف بين معنى لفظة ما وردت في القرآن الكريم ، ووردت في اللغة العربية ، ولكن الهدف من البحث عن معنى (التأويل في اللغة) هو التعرف عما اذا كان هناك معان أخرى غير ما ذكرناه سابقا .

اذ أنه ربما يكون للكلمة في اللغة عدة معان ، والقرآن الكريم قد استعمل واحدا أو اثنين من تلك المعاني دون بقية المعاني .

واللغة العربية — كغيرها من العلوم — قد دونت وحفظت في مؤلفات سميت " (معاجم اللغة) وتعاهدها علماء اللغة بالتأليف والجمع في عصور مختلفة ، ولكن هذه اللغة ليست كغيرها من العلوم ، فهي غير قابلة للاجتهاد ، بل يتوقف البحث والتأليف فيها على سماعها من العرب قبل فساد اللسان العربي بالاختلاط بالأعاجم من الأمم الأخرى .

ومن أقدم تلك المعاجم كتاب (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد ابن احمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، أي في القرن الرابع الهجري .

وفيه يذكر أبو منصور عن ثعلب عن ابن الأعرابي " أن الأول " بمعنى " الرجوع . من آل يؤول أولاً .

وقال الأصمعي " آل القطران يؤول ، أولا إذا حثر .

وآل ماله يؤوله ايالة ، اذا أصلحه وساسه .

ويستشهد الأصمعي بقول لبيـــد "

بصبـــوح صافية وضرب كريتـــة بمؤثر تأتـــا لـــه ابهامهـــا

والشاهد في البيت قوله (تأتالـه)

يقول الأصمعي " انما هو (تفتعلـه) من (ألتـه) أي أصلحته ٠

ويقال " طبخت النبيـذ حتى آل الى الثلث ، أو الربع " أي رجع ٠

وآل لحم الناقـة " اذا ذهب ، وقال الأعشـى "

أكللتها بعـــد الســراح فآل من اصـــلا بهـــا

أي ذهب لحم صلبها ٠

وقال الليث " الآيل " الذكر من الأوعال ، والجمع الأيايل ٠

قال " وانما سمي ، أيّـلا ، لأنـه يؤول الى الجبال يتحصن بهـــا(١)

وينقل ابن فارس في (مقاييس اللغة) هذه المعاني المتقدمة ويذكر بيتـــا للأعشـى شاهدا على دعـواه ، فيقول "

وآل يؤول " أي رجع ٠ قال يعقوب "(أول الحكم الى أهله ، أي أرجعتـه ورده اليهم ٠

قال الأعشى "(أوّل الحكم الى أهلـــه)

وآل جسم الرجل اذا نحف ٠ أي رجع الى تلك الحالـــة ٠

ويقول ابن فارس " ومن هذا الباب " تأويل الكلام ، وهو عاقبتـه وما يؤول اليه وذلك قوله تعالى "(هل ينظرون الا تأويله) يقول " ما يؤول اليه في وقـت بعثهم ونشـورهم (٢)

---

(١) الأزهري " تهذيب اللغة ١٥ / ٤٣٧ وما بعدها ٠ دار الكاتب العربي ١٩٦٧م بتحقيق الاستاذ " ابراهيم الابياري ٠

(٢) ابن فارس " مقاييس اللغة ١ / ١٥٩ وما بعدها مادة (أول) دار احياء الكتب العربية تحقيق عبد السلام محمد هارون ٠ ط ٠ الأولى ١٣٦٦ هـ

ونعود مرة أخرى الى تهذيب اللغة للأزهري حيث يذكر لنا أقوالا أخرى تؤكد لنا أن التأويل بمعنى المرجع والمصير . يقول أبو منصور الأزهري" وأما قوله تعالى "

(هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله)(١)

قال ابو اسحاق " معناه " هل ينظرون الا ما يؤول اليه أمرهم من البعث قيل " وهذا التأويل هو قوله عز وجل "(وما يعلم تأويله الا الله) ، اى لا يعلم متى يكون أمر البعث ، وما يؤول اليه الأمر عند قيام الساعة الا الله ، (والراسخون في العلم يقولون آمنا به)أى " آمنا بالبعث .

قال الأزهري " قلت " وهذا الذى قاله حسن .

وقال ابو عبيد في قول الله تعالى "(وما يعلم تأويله الا الله) التأويل " المرجع والمصير ، مأخوذ من آل يؤول الى كذا ، أى صار اليه . وأولته " صيرته اليه .

واستشهد أبو عبيد على قوله هذا بقول الأعشى "

على أنها كانت تأول حبها تأول ربعي السّقاب فأصحبا

يعنى أن حبها كان صغيرا فآل الى العظم ، مثل السقب يكون صغيرا ثم يشب حتى يصير مثل أمه .(٢)

وهذا المعنى المتقدم للفظ(التأويل) الذى ذكره أبو منصور الأزهري في كتابه (تهذيب اللغة) وذكره ابن فارس في كتابه (مقاييس اللغة) بأن معناه (المرجع والمصير) قد اتفقت عليه جميع المعاجم اللغوية سواء ما كان منها مؤلفا في القرن الرابع الهجرى مثل كتابي الأزهرى ، وابن فارس المتقدمين والصحاح للجوهرى ، أو ما كان متأخرا في القرون

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٣

(٢) الأزهرى (ابو منصور محمد بن احمد) " تهذيب اللغة ١٥ / ٤٥٨ ـ ٤٦٠ تحقيق الاستاذ ابراهيم الابيارى . دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م

السابع الهجرى مثل القاموس المحيط ولسان العرب ، وتاج العروس (١)
ونستعرض هذه المعاجم مرة أخرى للتنقيب عن معان أخرى في اللغة للفظ
(التأويل) ونبدأ بتهذيب اللغة للأزهرى المتوفي سنة ٣٧٠ هـ حيث نجده
يذكر معنى آخر (للتأويل) وهو " التفسير ، "
يقول الأزهرى"
وسئل احمد بن يحي عن (التأويل) فقال " التأويل ، والتفسير ، والمعنى ،
واحد ، قلت أى الأزهرى — ألت الشئ " جمعته وأصلحته ، فكأن (التأويل)
جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا اشكال فيه .
قال الليث "
التأول والتأويل " تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ...) وأنشد "
نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله . (٢)
وقد ذكر هذا المعنى الجوهرى في كتابه (الصحاح) فقال "
التأويل " تفسير ما يؤول اليه الشئ ، وقد أولته ، وتأولته تأولا بمعنى . (٣)
وذكره ايضا الفيروزأبادى في كتابه (القاموس المحيط) وابن منظور في كتابه
(لسان العرب) والزبيدى في كتابه (تاج العروس (٤)

---

(١) الجوهرى (اسماعيل بن حماد) " الصحاح ٤/١٦٢٨ مادة (أول) تحقيق
الاستاذ احمد عبد الغفور عطار . دار الكتاب العربي بمصر .
والفيروزأبادى " القاموس المحيط ٣/٣٣١ مادة (أول) مطبعة السعادة بمصر
وابن منظور " لسان العرب ١١/٣٢ مادة (أول) دار بيروت للطباعة والنشر
والزبيدى " تاج العروس ٧/ ٢١٤، ٢١٥ مادة (أول) ط" الأولى ١٣٠٦هـ
(٢) الأزهرى" تهذيب اللغة مادة (أول) ١٥/ ٤٥٨
(٣) الجوهرى " الصحاح مادة (أول) ٤/١٦٢٧ تحقيق احمد عبد الغفور عطار
(٤) الفيروزأبادى" القاموس المحيط مادة (أول) ٣/٣٣١ مطبعة السعادة بمصر .
وابن منظور " لسان العرب . مادة (أول) ١١/٣٣ دار بيروت للطباعة والنشر
والزبيدى " تاج العروس . مادة (أول) ٧/ ٢١٥ ط. الأولى ١٣٠٦ هـ

غير أن ابن منظور ، والزبيدي قد ذكرا في كتابيهما (لسان العرب) و(تاج العروس) معنى ثالثا للفظ (التأويل) ولكنهما ذكرا هذا القول عمن لا يحتج بهم في اللغة اذ أنهم ليسوا رواة لغة لأنهم وجدوا في عصور متأخرة ، وأقدم هؤلاء المنقول عنهم هذا المعنى هو ابن الجوزي الحنبلي المتوفي في القرن السادس الهجري. فقد ذكر ابن منظور في كتابه (لسان العرب) عن ابن الأثير (سنة ٤٤ هـ ٦٠٦) (أن المراد بالتأويل " نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ) (١)

والزبيدي ذكر هذا المعنى للتأويل فقال "

(وفي (جمع الجوامع) ـ للسبكي ـ هو " حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، فان حمل لدليل فصحيح ، أو لما يظن دليلا ففاسد ، أو لا لشيء فلعب لا تأويل.

وقال ابن الكمال " التأويل " صرف الآية من معناها الظاهر الى معنى تحتمله اذا كان المحتمل الذي يصرف اليه موافقا للكتاب والسنة ...

وقال ابن الجوزي " التأويل " نقل الكلام عن وضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ) اهـ . (٢)

والذي يبدو أن ما ذكره ابن منظور والزبيدي من هذا المعنى (للتأويل) انما ذكراه استطرادا ، لأنه من معانيه اللغوية ، لما قد منا ، من أن هؤلاء العلماء المنقول عنهم ذلك المعنى لم يعرفوا برواية اللغة عن العرب ، ولم يشتغلوا بها ، بل كانوا بين فقيه أو أصولي ، بالاضافة الى أن هذه الأقوال لم يورد لها أصحابها شواهد من كلام العرب أو من أشعارهم ، ومما يؤكد لنا هذا الاتجاه أن ابن الجوزي نفسه ـ وهو أحد من نقل عنهم الزبيدي هذا المعنى الاصطلاحي ـ قد قال في تفسيره (زاد المسير) ـ عند الكلام في معنى التأويل ـ قال ابن الجوزي عند ذلك ما نصه "

---

(١) ابن منظور " لسان العرب . مادة (أول) ١١ / ٣٢ دار بيروت للطباعة والنشر وابن الأثير " النهاية في غريب الحديث ١ / ٨٠ ط" الحلبي ١٣٨٣هـ ١٩٦٣ م

(٢) الزبيدي " تاج العروس. مادة (أول) ٧/ ٢١٥ ط"الاولى سنة ١٣٠٦ هـ

وفي التأويل وجهان " احدهما "
= التفسير .

والثاني "
= الصائبة المنتظرة .(١)

وهذا القول من ابن الجوزى لمعنى (التأويل) الذى ذكره في تفسيره ـ وهو يخالف ما نقله عنه الزبيدى ـ يبدو أنه يريد به المعنى اللغوى (للتأويل) لأنه هو الذى يذكره المفسرون اذا أرادوا ذكر المعنى اللغوى (للتأويل) فالرازى ـ مثلا ـ يقول في التفسير الكبير "

(التأويل) هو التفسير ، وأصله في اللغة ، المرجع والمصير ، من قولك " آل الأمر الى كذا ، اذا صار اليه وأولته تأويلا ، اذا صيرته اليه ، هذا ، معنى التأويل في اللغة . (٢)

وهذا المعنى الذى ذكره كل من ابن الجوزى ، والرازى ، والذى ذكره أصحاب المعاجم اللغوية ، هو الذى ذكره ابن جرير الطبرى في تفسيره ، وهو أسبق من هؤلاء جميعا ، اذ أنه عاش فيما بين عام (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) حيث قال في ذلك " (وأما معنى (التأويل) في كلام العرب ، فانه التفسير ، والمرجع والمصير) (٣)

وانشد بيت الأعشى ـ المتقدم ـ (على أنها كانت تأول حبها ...)

ونستنتج من هذا البحث أمرين "

الامر الأول "
= أن المعاجم اللغوية قد اتفقت على أن لفظ (التأويل) يستعمل في معنيين "

---

(١) ابن الجوزى " زاد المسير ١ / ٣٥٤ منشورات المكتب الاسلامي بدمشق

(٢) الفخر الرازى " التفسير الكبير ٧ / ١٨٨ الطبعة الأولى .

(٣) ابن جرير الطبرى " جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى) ٦ / ٢٠٤

الأول "
= التفسير والبيان ٠

الثاني "
= المرجع والمصير ٠

وهذان المعنيان هما اللذان يذكرهما المفسرون في تفسيرهم للفظ (التأويل) على أنهما المعنى اللغوى كما سبق بيان ذلك عن ابن جرير الطبرى ، وابن الجوزى ، والفخر الرازى ، وهذان المعنيان هما اللذان سادا في استعمالات السلف للفظ (التأويل) منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين فقد ورد استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم (التأويل) بالمعنيين السابقين ، فمن استعماله صلى الله عليه وسلم (التأويل) بمعنى التفسير قوله صلى الله عليه وسلم داعيا لابن عباس رضي الله عنهما " (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (١) ومن استعماله صلى الله عليه وسلم للتأويل بمعنى المرجع والمصير ، قوله صلى الله عليه وسلم في بيان قول الله تعالى " (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) (٢) وذلك عندما سئل عن معناها فقال صلى الله عليه وسلم " (أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد) أى مآلها ومصيرها ٠

والحديث أخرجه الامام احمد بن حنبل في مسنده ، والترمذى ذكر ذلك الحافظ ابن كثير ٠ (٣)

وفي قول الله تعالى " (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (٤)

---

(١) ابن ماجه ٠ المقدمة باب (١١) حديث (١٦٦) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

(٢) سورة الانعام آية (٦٥)

(٣) ابن كثير " تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٤٠ ط٠ الحلبي ، وابن تيمية " تفسير سورة الاخلاص ص ١٠٦ ، ١٠٦ انظر مسند الامام احمد ٣/ ٣٨ حديث (١٤٦٧) تحقيق احمد محمد شاكر ، صحيح البخاري بشرح ابن حجر ١٨٧/١٤ تفسير سورة الانعام

(٤) سورة المائدة آية ١٠٥

قال عبد الله بن مسعود (لم يجئ تأويل هذه بعد ، فان القرآن الكريم أنـــزل حيث أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آى قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنه آى قد وقع تأويلهن بعـــد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير ، ومنـه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنـــه آى تأويلهن عند الساعـة ، ماذكر من السّعة ، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب ماذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا ، واذا اختلفت القلوب والأهواء ، والبستم شيعا ، وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه ، وعند ذلك جاء تأويل هذه الآيـــة) (١)

فكلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية يدل على أن تأويل الآيـة (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم) الآية هو وقوع الاختلاف بين المسلمين بحيث يصبحون شيعا يذيق بعضهم بـــأس بعض ، ووقوع هذه الأمـور انما يكون مشاهدا وواقعا حقيقة وهو المرجع والمصيـر الذى ينتظر في يوم (ما) لاتفسيرا لمعان وألفـــاظ .

الأمـر الثاني "

من نتائج هذا البحث اللغوى ، اننا قد وجدنا العالميـــن " ابن منظور ، والزبيـدى ، قد ذكرا في كتابيهما " (لسان العرب) و(تاج العروس) معنى ثالثا للفظ (التأويل) وهو " نقل الكـلام عن موضعه الى ما يحتاج في اثباته الى دليل لولاه ما تراظاهر اللفـــظ .

---

(١) ابن كثير " تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٠٩ ، ١١٠
وابن تيميـة " تفسير سورة الأخلاص ص ١٠٦

ومما يجدر ذكره أن ابن منظور ، والزبيدي قد انفردا من بين سائر المعاجم اللغوية بذكر هذا المعنى الثالث، ولم يذكرا عليه دليلا من كلام العرب ، سواء كان شعرا أو نثرا ، كما فعلا في المعنيين المتقدمين ، بالاضافة الى أن هذين العالمين (ابن منظور ، والزبيدي) متأخران في الزمن فانهما عاشا في القرن السابع الهجري.

كما أن من نقلا عنه هذا المعنى مثل " ابن الجوزي ، والسبكي وابن الكمال وغيرهم ليسوا ممن يحتج بهم في اللغة ولم يكونوا رواة لغة بل كانوا مابين فقيه أو أصولي أو متكلم . وعلى الرغم من كل ما تقدم فقد كتب لهذا المعنى الذيوع والانتشار بين الفقهاء والأصوليين والمتكلمين ، واستعملوه على أوسع نطاق بحيث أصبح هو المتبادر الى الذهن عند سماع لفظ(التأويل) والمتعارف عليه بينهم وأخذ طريقه الى معاجم اللغة المتأخرة السابقة الذكر ، وقد تنوسي معه المعنيان المذكوران في معاجم اللغة المتقدمة في القرن الرابع وما قبله ، واللذان كانا معروفين في استعمالات الصحابة والتابعين دون غيرهما من المعاني وأصبح هذا المعنى ـ أعني ـ صرف اللفظ عن ظاهره .. .. الخ . هو المعنى الاصطلاحي بين العلماء المتأخرين دون علماء السلف.

ومما يتعلق بهذا البحث ما ذكره الاستاذ (محمد السيد الجليند) في كتابه (الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل) من وضع اللسان الأولى على نشأة هذا المعنى الاصطلاحي الذي غطى على المعنى اللغوي فيقول "

((ان استعمال (التأويل) بهذا المعنى ، كما يبدو لي نشأ تحت ظروف عقائدية خاصة ، وأخذ ينمو هذا الاستعمال تحت أعين حارسة عليه تحوطه وترعاه بعنايتها حتى كتب له الذيوع والانتشار

ولو ألقينا نظرة فاحصة في تاريخ الفرق السياسية والكلامية، وخاصة في ظروف نشأة الشيعة والباطنية ... فربما وجدنا بداية الطريق .

واذا ألقينا نظرة على معتقدات هذه الفرق، وخاصة على ما أسموه بعلم الظاهر والباطن، وما وضعوه من مصنفات حول هذا العلم فقد نجد ما يقوي هذا الافتراض .

واذا علمنا أن هناك أثرا تردد كثيرا في كتب الشيعة وهو (لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل) ألا نكون بذلك قد وضعنا يدنا على بداية الطريق ؟ لقد تردد الاثر المذكور في كثير من المصنفات الاسماعيلية، وخاصة في كتب القاضي الفاطمي (النعمان بن حيوة التميمي) مثل (أساس التأويل) و(تأويل الدعائم) وتردد أيضا في كتب المتصوفة، فنجده عند الغزالي في (الاحياء) و (المشكاة) مرفوعا الى علي بن ابي طالب . وعند الشيعة مرفوعا الى الامام جعفر الصادق .

ولو وضعنا الأثر أمام أعيننا، ووضعنا بجانبه التعريف الاصطلاحي (للتأويل) لوجدنا الشبه واضحا، والعلاقة قوية بين (التأويل) بمعناه الاصطلاحي، وبين الأثر المتردد على ألسنة الشيعة والصوفية السابق ذكره . فهنا ظاهر، وباطن، وتنزيل، وتأويل ..

وفي التأويل الاصطلاحي . ظاهر غير مراد، وباطن مراد يجب البحث عنه، فالقول بالباطن هو الاساس الذي وضع لأجله تعريف (التأويل) بهذا المعنى . ومن هنا استطاع الباطنية أن يستغلوا (التأويل) بهذا المعنى أسوأ استغلال مستندين في ذلك الى الأثر المذكور (لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل)، ووضعوا قواعد عقائدهم تحت ستار علم الباطن، بعيدا عن أعين الظاهر المعروف عنه اللفظ .

وعلى الرغم من أن الأستاذ الجليند لايملك أدلة حاسمة تؤكد له قوله هذا — كما يقول هو ذلك — الا أنه لايشك في (أن النصيب الأكبر في ذلك يرجع الى الدور الذى قام به اصحاب الاتجاه الباطني من الصوفيه والشيعة ، يشاركهم في هذا كثير من الفرق الذين نادوا بفكرة الامام المعصوم ، الذى يؤتى من لدنه تأويل التنزيل ، فلقد ساهم هؤلاء جميعا في شيوع استعمال (التأويل) بهذا المعنى ، واختاروا لشيوع آرائهم وذيوعها الشخصيات التى يحسن المسلمون الظن بهم مصوبين بذلك سهامهم الى ظواهر الشرع فأبطلوها ، والى كتاب الله فحرفوه) اهـ (١)

واذا أضفنا الى كلام الاستاذ الجليند ما قام به علماء البلاغة من التوسع في التأليف ، وتقسيمهم الكلام الى حقيقة ومجاز ، وتعريفهم المجاز بأنه " استعمال اللفظ في غير ما وضع له لقرينة ، فاننا نجد أن عمل البلاغيين هذا قد ساهم الى حد كبير في انتشار هذا المعنى الاصطلاحي لمعنى (التأويل) بدرجة أصبح معها هو المتعارف عليه ، والمتبادر الى الذهن عند سماع كلمة (التأويل) . فصرف اللفظ عن ظاهره للمعنى المرجوح في المعنى الاصطلاحي (للتأويل) يشبه الى حد كبير تعريف المجاز " بأنه استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لقرينة .

ولم يكن الهدف من كل ما تقدم حول هذا المعنى الاصطلاحي المخالف للمعنى اللغوى ، ولما ورد في القرآن الكريم من معنى (التأويل) لم يكن الهدف من ذلك انكار هذا المعنى ، أو الحظر من استعماله ، بل كان الهدف هو التعرف على نشأته ، وبيان الظروف التى ساعدت على انتشاره ، حتى انه تنوسي معه المعنى الحقيقي (للتأويل) كما ورد في اللغة ، وفي القرآن الكريم ، ان طائفة من الناس — مثلا — كالفقهاء ، والأصوليين — اذا ما اصطلحوا على تعريف بينهم ، فلا يعاب عليهم ذلك ، ولا يعترض عليهم فعلهم ، شريطة ان لايكون ذلك الاصطلاح مفروضا على غيره من المعاني الأساسية التى وردت في اللغة أو في القرآن الكريم ، كما أريد لهذا المعنى الاصطلاحي (للتأويل) أن يكون .

---

(١) محمد السيد الجليند " الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص٤٨ — ٤٩ ط مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٣ اهـ ١٩٧٣ م

م/ب

ولكننا اذا ماأردنا أن نعمم هذا التعريف الاصطلاحي (للتأويل) وأن نجعله قاعدة نسير عليها في فهم كثير من الآيات والأحاديث على أنه هو المراد (بالتأويل) فانه ربما يجرنا الى القول بما نقل عن الفلاسفة من أن ظواهر الشرع غير مرادة وانما هي تخييل للحقائق لينتفع بها الجمهور ، بالرغم من أن أحدا من الذين قالوا بهذا التعريف الاصطلاحي (للتأويل) وهو صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى آخر لم يذهب الى هذا الرأى، ولم يقل به .

والنتيجة الأخيرة التي نخرج بها من هذا البحث هي أن (للتأويل) ثلاثة معان هي "

المعنى الأول "

التفسير والبيان ، وهذا المعنى ورد في اللغة وفي القرآن الكريم ، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما ، واصطلح عليه السلف مثل ابن جرير الطبرى عندما يقول " (تأويل كذا) أو القول في تأويل الآية .

المعنى الثاني "

المرجع ، والمصير ، والعاقبة ، وهو أيضا معنى ورد في اللغة وفي القرآن الكريم ، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى " (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا ...) الآية . و استعمله ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث الوارد عنه في تفسير قوله تعالى " (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) الآية .

المعنى الثالث"

هو صرف اللفظ عن ظاهره ... الخ وهو ما اصطلح عليه المتأخرون ولم يرد هذا المعنى في اللغة أو في القرآن الكريم ، ولم يكن معروفا في عهد الصحابة ولا القرون الثلاثة الأولى ، بل عرف في عصور متأخرة عن القرون المفضلة ، وذلك بعد القرن الرابع تقريبا ، بدليل عدم وجود ذكر له في القرن الرابع الهجرى.

وبعد أن اتضح المعنى المراد بلفظ(التأويل) في اللغة ، وفي القرآن الكريم ، وفي الاصطلاح ، نحاول أن نبين المعنى المراد من (التأويل) الوارد في سورة آل عمران والتى قال الله فيها " (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) الآية .

هل المراد " وما يعلم تفسيره وبيان معناه الا الله ؟

أو المراد " وما يعلم عاقبته ومرجعه الا الله ؟

أو المراد " وما يعلم المعنى المرجوح الخفي الظاهر من اللفظ الا الله ؟ (١)

لنتبين ذلك ، ونقف على الحقيقة بقدر المستطاع نعود الى بيان سبب نزول آية سورة آل عمران، والقراءة الواردة في تلك الآية .

(١) يحذف ما بين المعقوفين

سبب نزول آية آل عمران"

لقد ذكر العلماء أن من فوائد معرفة أسباب النزول تحديد المعنى المراد من الآية ، وآية آل عمران وهي قوله تعالى " (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ..) الآية ذكر العلماء سببين لنزولها "

السبب الأول "

أنها نزلت في اليهود الذين أرادوا أن يعرفوا مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من خلال الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وذلك على طريقتهم في استخدام حساب الجمل في الحروف المقطعة ، فتشابه عليهم الأمر لتكرارهـــا في أوائل سور كثيرة فعجزوا من الوصول الى غايتهم .

وقد رجح ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ هذا القول وقال بأنه أشبه بتأويل الآيـة .

السبب الثاني "

قالوا انها نزلت في وفد نجران لما قدموا على النبي صلـــى الله عليه وسلم وجادلوه في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأرادوا أن يستدلوا من قوله تعالى "(كلمته وروح منـه)(١) ومن قوله (انا نحن) (٢) على أن الآلهة ثلاثة .

ثم دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المباهلـــــة كما قال تعالى "(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك مـــن العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبناءكم ..) الآية (٣) مـــن سورة آل عمران ، وأيا كان السبب في نزول الآية سواء أكان ما ابتغته اليهود من معرفة قيام الساعة بواسطة الحـــروف المقطعة ، أو ما ابتغته النصارى من الاستدلال على أن الآلهة ثلاثة من قوله تعالى "(انا ، ونحن ، وكلمته ، وروح منـه فان الفريقين قد استخدموا في مطلبهم أمورا متشابهة وكـــان قصدهم سيئا وهو ابتغاء الفتنة بين المسلمين وايجاد الخلاف

(١) سورة النساء قوله تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريـــم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ..) الآية (١٧١) (٢) سورة الحجر قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) آية (٩) وسورة الانسان قوله تعالى " (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) آية (٢٣)

(٣) سورة آل عمران آية (٦١)

بينهم وتحقيق أهدافهم الخاصة بما استدلوا به .

وقد ذكر ابن جرير الرأيين معا ثم رجح الرأى القائل بأنها في اليهود حيث قال " والذى يدل عليه ظاهر الآية أنها نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتشابه ما أنزل اليه من كتاب الله ، اما في أمر عيسى ، واما في مدة أكله وأكل أمته ، وهو بأن تكون في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتشابهه في مدته ومدة أمته أشبه ، لأن قوله (وما يعلم تأويله الا الله) دال على أن ذلك اخبار عن المدة التي أرادوا علمها من قبل المتشابه الذى لا يعلمه الا الله ، فأما أمر عيسى ، وأسبابه فقد اعلم الله ذلك نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، وبينه لهم فمعلوم أنه لم يخن به الا ما كان عليه خفيا من الجهال . اهـ (١)

ولكن ابن جرير يقول في موضع آخر كلاما يحقق به ما قيل من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، حيث يقول " و هذه الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فانه معنى بها كل مبتدع في دين الله بدعة فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشابه آى القرآن ثم حاج به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات ارادة منه بذلك اللبس على أهل الحق ... الخ) (٢)

---

(١) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/ ١٩٥، ١٩٦

(٢) ابن جرير الطبرى " التفسير ٦/ ١٩٨

((الخلاف في الوقف في آية آل عمران))

لقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في الوقف في آية آل عمران هل الوقف على قوله تعالى "(ومايعلم تأويله الا الله) أو أن الوقف على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) ؟ في المسألة قولان مشهوران

الأول "

الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى "(ومايعلم تأويله الا الله) وبهذا القول " قالت عائشة رضي الله عنها ، وابن عباس وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعمر بن عبد العزيز ، ومالك بن انس وغيرهم ، رضي الله عنهم .

الثاني "

الوقف على قوله تعالى " والراسخون في العلم)

وبهذا القول قال " ابن عباس فيما نقله عنه مجاهد أنه قال " أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ، وقال مجاهد " والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به ، والربيع بن أنس رضي الله عنهم ، وغيرهم . (١)

ومن العلماء من فصل في هذا المقام بما يجمع بين القولين السابقين لا سيما وأن بعض الصحابة كابن عباس ورد عنه القولان معا كما هو واضح فقال "

(التأويل) يطلق ويراد به في القرآن معنيان "

---

(١) ابن جرير الطبري" التفسير ٦/ ٢٠٢ وما بعدها ، وابن تيمية التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ٥٤، ٥٥ وابن كثير " التفسير ١/ ٣٤٧

أحدهما "

(التأويل) بمعنى حقيقة الشئ ، وما يؤول أمره اليه ، ومنه قوله تعالى (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) وقولهتعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) أى حقيقة ما أخبر و ابه من أمر المعاد ، فان أريد با لتأويل هذا فالوقف على لفظ الجلالة لأن حقائق الامور وكنهها لا يعلمها على الحقيقة الا الله عز و جل ، ويكون قوله " (والراسخون في العلم) مبتدأ و(يقولون آمنا به) خبره .

ثانيهما "

واما ان أريد بـ(التأويل) المعنى الآخر ، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشئ كقوله تعالى "(نبئنا بتأويله) أى بتفسيره فان أريد به هذا المعنى فالوقف على قوله تعالى "(والراسخون في العلم) لأنهم يعلمون و يفهمون معنى ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه وعلى هذا فيكون قوله تعالى " يقولون آمنا به) حالا من الراسخين (١) وهذا قول حسن ورأى جيد يجمع بين القراءتين في الآية والأقوال المنقولة عن الصحابة من غير تكلف ولا تعسف .

---

(١) ابن كثير " التفسير ١ / ٣٤٧ ، وابن تيمية " التدمرية ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣ / ٥٥

القاضي عبد الجبار " متشابه القرآن ١ / ١٥ ، والمغنى (اعجاز القرآن) ١٦ / ٣٧٩

بيـــان الراجـح مـــن أقوال العلمـــاء
فـــي
((المحكم والمتشـــــــــابـــه))

وبعد أن اتضح لنا معنى (التأويل) في القرآن الكريم ، وفي اللغة وفي اصطلاح العلماء ، وبعد أن ذكرنا القول الجامع بين الأقوال بشـــأن الوقف في آية آل عمران ، يمكننا الآن نقول بعد هذا كله " ان (التأويل) في آية آل عمران " يراد به التفسير والبيان على قراءة من عطف (والراسخون في العلم) على لفظ الجلالة ، ويراد به " الحقيقة والعاقبة والمآل علـــى قراءة من وقف على لفظ الجلالـــة ، وبناء على هذا فان ما تقـــدم من أقـــوال العلماء حول تحديد معنى كل من المحكم والمتشابه ، وما رأيناه هنـــــاك من خلاف بينهم يمكننا الآن أن نتبين أن ما كنا نعتبره خلافا هناك قـــد اتضح هنا عدم وجود خلاف بين تلك الأقوال طالما أننا قد استحســـــنا القول بالتفصيل في المسألة والأخذ بالمعنيين للفظ (التأويل) وهما التفسير والبيان والحقيقة والمآل والمرجع ، فأخبار القيامـــة وعلاماتها وما يتعلـــق بأمـــور البعث والحساب والجزاء وما يتعلق بالجنة والنار لا يعلمهـــــا الا الله بمعنى لا يعلم حقيقتها ومآلها الا الله وحده فقد انفرد بعلمهـــا جل شأنه ولم يطلع أحدا من خلقـــه عليها ، ويدخل في هذا قول من قـــال " ان الصفات من المتشابه لأن حقيقة الصفات لا يعلمها على حقيقتها أحـــد من الخلق كما أن الله تعالى لا أحد يحيط به علما ، أما تفسير تلك الألفاظ

فلا شك أن كثيرا من العلماء يعلمونها ولا تخفى على كثير منهم وقد سمى ابن عباس رضي الله عنه ما عرضه عليه نافع بن الأزرق متشابها(١) ومع ذلك فقد بين له معانيها وأزال الاشكال الظاهر من اللفظ فالتشابه بهذا الاعتبار هو تشابه نسبي ،كما قال أبو الحسن الأشعري " لابد من أن يكون في كل عصر من العلماء من يعلم تأويل ما تشابه من القرآن .

والتأويل بهذا الاعتبار هو التفسير ، ويدخل تحته حينئذ الأقوال الأخرى التي ذكرها العلماء مثل قول من قال المتشابه ما احتمل وجوها وغير ذلك من الأقوال المتقدمة .

وعلى هذا فقد زال الاشكال — في نظري — واتضح المعنى من اختلاف وجهات نظر العلماء التي ظهرت في تعدد اقوالهم في المحكم و المتشابه حيث يمكن حمل بعض الآراء على التفسير والبيان ، وحمل البعض الآخر على الحقيقة والمآل والمصير ،والله سبحانه أعلم .

---

(١) انظر القول الثاني من أقوال ابن عباس في المحكم والمتشابه ص ٦٧ | ٦٨

المبحث الخامس

((التفويض))

يقصد بالتفويض في كلام العلماء ، التسليم المطلق والتوكل التام على الله تعالى في جميع الأمور التي يحاول الانسان الوصول اليها .

أما التفويض في الناحية العلمية فهو اضافة العلم بالشئ الى الله تعالى وذلك عند استقصاء المعنى المراد ، وعدم ادراكه ، فيقول الواحد منا " الله اعلم ، والتفويض بهذا المعنى من علامات الورع والتقوى ، وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في هذا ، وذلك عندما سأله جبريل عليه السلام ، متى الساعة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام " ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، فامسك عليه الصلاة والسلام عن بيان وقتها لعدم علمه بذلك . ثم اخبر فقط عن علاماتها .

وقد ورد في كتاب الله آية واحدة اشتملت على كلمة (التفويض) وذلك في سورة غافر (المؤمن) عندما نصح مؤمن آل فرعون قومه ، ودعاهم الى الايمان بالله تعالى وتوحيده ، والتصديق بالبعث والجزاء ، فلم يستجيبوا له وعجز عن قبولهم لدعوته ، واصرارهم على الكفر ، حينئذ لجأ الى الله تعالى فقال " (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد) (١)

---

(١) سورة غافر (المؤمن) آية (٤٤)

((الفصـــــــــــل الثـــــاني))

((الصفـــــــات بوجـــه عـام))

((الفصـــــل الثـــــــاني))

((الصفات بوجه عـام))

يقسم العلماء صفات الله تعالى الى قسمين "(١)

١ـ صفات خبرية ؛ وهي الصفات التي ورد ذكرها في الخبر سواء كان في الكتاب أو في السنة ، ولم يقم دليل عقلي على ثبوتها ، و سنرجئ الكلام عليها الى الفصل الثالث.

٢ـ صفات معان" وهي ما أفادت معنى زائدا على الذات ، وقام الدليل العقلي على ثبوتها لله تعالى ، وذلك مثل"

الحياة والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر، والكلام ، فالله تعالى ، حي بحياة ، عالم بعلم ، قادر بقدرة .

ولكي نتعرف على رأى ابن الجوزى وموقفه من هذه الصفات ، نعرض أولا آراء الفرق الأخرى السابقة عليه في هذا الموضوع ، ثم نتبعها برأيه نفسه لنرى بعد ذلك الى أى رأى من آراء تلك الفرق يميل ويعتقد ، وهناك خمس فرق مشهورة سابقة على ابن الجوزى تكلمت في موضوع الصفات وهي"

١ـ الجهمية ، ٢ـ المعتزلـــة ، ٣ـ الفلاسفـــة ، ٤ـ الأشاعـــرة ٥ـ الكراميـــة .

وقد اتخذت هذه الفرق ازاء صفات المعاني ـ من حيث النفي والاثبات ـ مواقف متباينة ، فانقسمت الى فريقين"

أولا" فريق النفاة وهم"

الجهمية ، والمعتزلـة ، والفلاسفة .

ثانيا" فريق المثبتين وهم "

الأشاعرة ، والكراميـــة .

ونستهل الحديث بتفصيل آراء فريق النفاة فنقول" ـ

---

(١) هذا التقسيم عند المتكلمين. اما السلف فيقسمون الصفات الى صفة ذات وصفة فعل وكل الصفات الاختيارية ، وهي توقيفية . وطريق ثبوتها الاول هو النقل الصحيح .

١ـ الجهمية"

أتباع الجهم بن صفوان ، وهؤلاء يرون أنه لا يصح أن يوصف الله تعالى بوصف يجوز اطلاقه على أحد من خلقه ، وينقل لنا البغدادي رأي الجهم في ذلك فيقول "

((... وامتنع ـ أي الجهم ـ من وصف الله تعالى ، بأنه شيء أو حي ، أو عالم ، أو مريد ، وقال " لا أصفه بوصف يجوز اطلاقه على غيره ، كشيء ، وموجود ، وحي ، وعالم ، ومريد ، ونحو ذلك ، ووصفه بأنه قادر ، وموجد ، وفاعل ، وخالق ، ومحي ، ومميت ، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده) (١)

ولسائل أن يسأل فيقول " كيف يصف الجهم الله بأنه قادر ، مع أن العبد يتصف بالقدرة ؟ فيقال ان فلانا قادر على فعل كذا فقد وصف الله بوصف جاز اطلاقه على العبد ، ولكن هذا الاعتراض يسقط اذا علمنا أن جهم بن صفوان يرى أن العبد مجبور على فعله وأنه كالريشة في مهب الريح تحركها كيف تشاء ، فاذا أضيف الفعل الى العبد كان على سبيل المجاز لا على الحقيقة كما يقال " جرى النهر ، وتحركت الشجرة ٠

٢ـ المعتزلة"

تعتبر فرقة المعتزلة ، من نفاة الصفات ذلك أنهم ينفون زيادتها على الذات ، أما الصفات من حيث هي ، فانهم يرون أن الله تعالى عالم قادر ، حي ، موجود ، ولكنهم يختلفون في كيفية استحقاقه تعالى لهذه الصفات ٠

---

(١) البغدادي" الفرق بين الفرق ص ٢١١ـ٢١٢

الشهرستاني " الملل والنحل ١ / ٨٦ ط" الحلبي ١٣٨٧هـ ١٩٦٨م

فقال أبو علي الجبائي، وأبو الهذيل العلاف "

(ان الله تعالى يستحق هذه الصفات لذاته ، فهو سبحانه ، عالم لذاته ، قادر لذاته مريد لذاته .

وقال ابو هاشم " ان هذه الصفات أحوال وراء الذات ، فالله تعالى عالم بعالمية، قادر بقادرية ، وهذه الأحوال لا موجودة ولا معدومة) (١)

وقد ذهبت المعتزلة الى القول بعدم زيادة الصفات على الذات لأنهم يرون (أنه لا صفة للقديم أخص من كونه قديما ، أو مما يقتضي كونه قديما ، من الصفة النفسية) (٢) وأن في اثبات زيادة تلك الصفات على الذات ، ما يؤدي الى القول بتعدد القدماء ، الأمر الذي يستلزم أن تتصف هي الأخرى بصفات الله تعالى مما يؤدي الى مشاركته تعالى في الألوهية .

يقول القاضي عبد الجبار ، بعد أن نفى أن يكون الله تعالى يستحق هذه الصفات لمعان قديمة "

(والأصل في ذلك ، أنه تعالى ، لو كان يستحق هذه الصفات لمعان قديمة وقد ثبت أن القديم ، انما يخالف مخالفه يكون قديما ، وثبت أن الصفة التي تقع بها المخالفة عند الافتراق ، بها تقع المماثلة عند الاتفاق ، وذلك يوجب أن تكون هذه المعاني مثلا لله تعالى ، حتى اذا كان القديم تعالى عالما لذاته ، قادرا لذاته ، وجب في هذه المعاني مثله ، ولوجب أن يكون الله تعالى مثلا لهذه المعاني) (٣)

---

(١) القاضي عبد الجبار " شرح الأصول الخمسة ص ١٨٢

(٢) = = = " المغني (رؤية الباري) ٤/ ٢٥١

(٣) = = = = " شرح الأصول الخمسة ص ١٩٥

٣ـ الفلاسفة "

أما الفلاسفة ، فقد اتفقوا مع المعتزلة على نفي صفات المعاني عن الله تعالى ، الا أن طريقة كل منهما في الاحتجاج لنفي تلك الصفات تختلف عن طريقة الأخرى .

فبينما ترى المعتزلة أن اثبات الصفات يؤدي الى القول بتعدد القدماء ، نجد أن الفلاسفة لا يمانعون من تجويز تعدد القدماء ، مثل العقول العشرة ، والأفلاك ، فانها عندهم قديمة ، ولكنهم ينفون الصفات عن الله تعالى خشية التركيب ، لأن الله عندهم ، واحد بسيط ، وما ورد في الشرع من صفات الله انما ترجع الى ذات واحدة وهذه الصفات اما أنها سلبية تنفيد سلب نقص لا يليق بالذات ، أو اضافات اعتبارية .

يقول ابن سينا "

(فاذا حققت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه إنّ وموجود ثم الصفات الأخرى يكون بعضها المتعين فيه هذا الوجود مع اضافة ، وبعضها هذا الوجود مع السلب ، وليس واحدا منها موجبا في ذاته كثرة البتة ولا مغايرة) (١)

ويتضح لنا من نص ابن سينا أن الفلاسفة لا يصفون الله الا بأنه (إنّ وموجود) ، والوجود لا يوجب كثرة فيه وما عدا ذلك من الصفات فهم يرون أنها اضافات أو سلوب ، فهم بهذا يتفقون مع المعتزلة في نفي الصفات ، ولكن من جهة نفي التركيب في ذاته تعالى .

---

(١) ابن سينا " النجاة ص ٢٥١ الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م

وبعد استكمالنا لعرض آراء الفرق النافية لصفات الله تعالى ، نأتي على ذكر آراء الفرق المثبتة لتلك الصفات وهما فرقتان " الأشاعرة ، والكرامية ·

١ ـ الأشاعرة"

أما الأشاعرة فانهم يثبتون لله تعالى سبع صفات زائدة على الذات ويسمونها صفات المعاني ، لأنها تدل على معنى زائد على الذات وهذه الصفات هي "

العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ·

أما دليلهم على زيادة هذه الصفات على الذات فهو قياس الغائب على الشاهد ، فالعالم في الشاهد من قام به العلم ولا يختلف الأمر شاهدا وغائبا ، لأن العلة واحدة والشرط واحد ، فعلة كون الشخص عالما في الشاهد هو العلم فكذا الأمر في الغائب ، ولأن هذه الصفات لولم تكن زائدة على الذات كما تقول المعتزلة " عالم لذاته قادر لذاته ، لكان هذا بمثابة حمل الشئ على نفسه وهو باطل· (١)

ولهذه الصفات أحكام أربعة عند الأشاعرة وهي "

١ ـ أن هذه الصفات السبع ، ليست هي الذات، بل زائدة على الذات ، فصانع العالم تعالى ، عالم بعلم ، حي بحياة ، قادر بقدرة وهكذا في جميع الصفات السبع المتقدمة ·

٢ ـ أن هذه الصفات كلها قائمة بذاته ، لا يجوز أن يقوم شئ منها بغير ذاته ، سواء كان في محل او لم يكن في محل ·

---

(١) المواقف" للايجي ٨/ ٤٥ وما بعدها ·

٣ـ أن هذه الصفات كلها قديمة ، فانها ان كانت حادثة كان القديم سبحانه محلا للحوادث وهو محال .

٤ـ أن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبع صادقة عليه أزلا ، وأبدا . فهو سبحانه في القدم كان حيا ، مريدا ، قادرا ، عالما ، سميعا بصيرا ، متكلما . (١)

٢ـ الكرامية "

وهم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني ، وهم ممن أثبتوا صفات المعاني لله تعالى على أنها زائدة على الذات ، فالله تعالى ، عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة ، سميع ، بصير ، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته .

وقالوا كذلك " انه تعالى كان خالقا قبل أن خلق ، ورازقا قبل أن رزق ، ومنعما قبل أن انعم ، ومعنى خالقيته ، قدرته على الخلق ، ورازقيته قدرته على الرزق ، وانعامه قدرته على الانعام (٢) فهم بذلك يثبتون صفات المعاني ، ويرون أنها زائدة على الذات .

((رأى ابن الجوزي في صفات المعاني))

بينما فيما سبق رأى الأشاعرة ، والكرامية ، في صفات المعاني وذكرنا أنهم يثبتونها لله تعالى صفات زائدة على الذات ، لورود الشرع بها ، ولأنها صفات كمال يمدح المتصف بها فالله عز وجل أولى بأن يمتدح بصفة العلم ، والقدرة ، والارادة ، وغيرها

---

(١) الغزالي " الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٥ وما بعدها .

(٢) البغدادي " الفرق بين الفرق ص ٢١٥ وما بعدها .

ولما كان ابن الجوزى من أهل السنة والحديث ، وأهل السنة يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو اذن من مثبتى صفات المعاني ، لذلك فاننا نرى أن ابن الجوزى يثبت صفات المعاني من العلم ، والقدرة ، والارادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، لله تعالى ، وأن هذه الصفات غير الذات .

والله تعالى أعلم .

((الفصـــــــــل الثـــــــالـــث))

في

((الصفات الخـــــــــــــبريـة))

((الفصل الثالث))

في

((الصفات الخبرية))

عند المتكلمين

يقصد بالصفات الخبرية أو (السمعية) ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو الكتاب الكريم ، من غير استناد على دليل عقلي وذلك مثل " اثبات الوجه ، واليد ، واستواءه تعالى على العرش ، ونزوله الى سماء الدنيا في النصف الأخير من كل ليلة ، الى غير ذلك من الصفات الواردة في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

ومشكلة الصفات من أهم المسائل التى قام حولها الجدل والخلاف منذ بداية المئة الثانية من الهجرة تقريبا ، ولقد كانت سببا في أن ترمى الفرق بعضها بعضا بعبارات قاسية ، مثل " التجسيم أو التعطيل ، أو الكفر ، وما الى ذلك من العبارات العنيفة التي لم تجد نفعا في اصلاح ما شاب معتقد الأمة منذ ذلك الحين حتى الآن ولقد اخذت الحالة تزداد من سئ الى أسوأ حتى كثرت الآراء ، وتعددت أقوال العلماء في هذه المسألة .

ولسنا هنا بصدد تعداد الفرق وذكر آرائها تفصيلا ، وانما الذى يهمنا من تلك الفرق هي الفرق الرئيسية دون غيرها ممن تفرع عنها ، كما درجنا على ذلك في الفصل السابق وتلك الفرق هي "

الفلاسفة ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، والكرامية .

ولما كان الهدف الأساسي من هذا البحث هو التعرف على موقف ابن الجوزى من مشكلة الصفات الخبرية ، وهل هو متأثر فيها ببعض الفرق ؟ أو يسير فيها على مذهب السلف من الايمان بها على الوجه الذى يليق بالله تعالى ، وتنزيهه

م / ب

تعالى عن مشابهة خلقه ، وتفويض العلم بكيفية تلك الصفات الى الله تعالى ؟

لما كان الأمر كذلك كان لابد لنا أن نعرض آراء هذه الفرق أولا بايجاز ، ثم نتبعها برأى ابن الجوزى لئلا نحمل القارئ على مجهول اذا قلنا " ان ابن الجوزى يوافق هذه الفرقة أو يخالفها في موقفها من الصفات الخبرية .

وقبل الشروع في عرض هذه الآراء أود أن أشير الى أننى لم أتعرض لذكر السلف على أنهم فرقة من الفرق ، لأنهم هم الأصل الذى انشقت عنه هذه الفرق كلها ، وخرجت عليه ، لعوامل فكرية ، أو تأثيرات سياسية ، بعيدة عن الفكر الاسلامي ، ومصادره الأصليه .

الفلاسفة "

نفى الفلاسفة صفات الله تعالى ، واعتبروا كل وصف ورد في الشرع الشريف انما يعود الى الذات ، وليس خارجا عنها ، ولا زائدا عليها ، وحجتهم في ذلك "

ان الله تعالى واحد بسيط من كل وجه لاتكثر فيه ولاتركيب ، واثبات الصفات ـ في نظرهم ـ سواء كانت صفات معان ، أو صفات خبرية يؤدى الى الكثرة ، والتركيب وهما محالان على الله تعالى ، ولذلك نفوا جميع الصفات وزيادتها على الذات .

المعتزلة"

عندما تذكر المعتزلة في كتب الفرق ، يذكرون على أنهم نفاة للصفات ، وفي الفصل السابق رأيناكيف أن المعتزلة يرجعون صفات المعاني الى الذات ، فهم اذن ينفون زيادتها فقط ، ويثبتونها وجوها ، أو احوالا للذات ، والذى حملهم على ذلك خشية القول بتعدد القدماء ، ذلك أن القدم أخص وصف لله تعالى عندهم ، فيجب ان لايشاركه فيه غيره .

وهنا في الصفات الخبرية يذهب المعتزلة الى نفيها ، وتأويل الآيات التي وردت فيها ، ذلك لأن اثباتها ـ في نظرهم ـ يؤدى الى أن الله تعالى جسم تعالى الله عن ذلك .

ويضيفون الى هذا ، أن هذه الصفات لم يقم على ثبوتها دليل عقلي ، وانما وردت في السمع (الكتاب والسنة) وهي أدلة ظنية الدلالة في نظرهم ، معارضة بالأدلة العقلية التى يرون أنها قطعية الدلالة .

هذه شبهة المعتزلة ، وحجتهم في نفي الصفات .

الأشاعرة "

بالرغم من أن الأشاعرة متفقون على اثبات صفات المعاني لله تعالى من " العلم، والقدرة ، والارادة ... الخ كما رأينا ذلك في الفصل السابق ، الا أنهم يختلفون في اثبات الصفات الخبرية .

فالمتأخرون منهم"

مثل أبي المعالي الجويني ، والغزالي ، والرازي ، لايثبتون الصفات الخبرية ويؤولون ما ورد فيها من آيات وأحاديث صحيحة لأمرين "

الأمر الأول "

لأن في اثباتها مايقتضي التجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه .

الأمر الثاني "

أن الدليل علمها مجرد ظواهر شرعية ، وهي ظنية الدلالة معارضة بادلة عقلية قطعية الدلالة، وبناء على هذا فان لهم حيال الأدلة الشرعية الدالة على الصفات الخبرية موقفين "

الأول "

يفوضون العلم بمعانيها الى الله جل شأنه .

الثاني "

أو يؤولون تلك النصوص الى معنى يليق بالله تعالى .

يقول سعد الدين التفتازاني حاكيا كل ذلك "

(... اما ظواهر الشرع فكقوله تعالى "(وجاء ربك) (١)و (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) (٢) و(الرحمن على العرش استوى)(٣) ... (ويبقى وجه ربك) (٤)... (ولتصنع على عيني) (٥) (لما خلقت بيدي) (٦) ... الى غير ذلك وكقوله عليه الصلاة واسلام

---

(١) سورة الفجر آية (٢٢) (٢) سورة البقرة آية (٢١٠)

(٣) سورة طه آية (٥) (٤) سورة الرحمن آية (٢٧)

(٥) سورة طه آية ٣٩) (٦) سورة ص آية (٧٥)

للجاريـــــــة الخرساء " أين الله ؟ فأشارت الى السماء ، فلم ينكر عليهـــا وحكم باسلامها ... . الى أن قال " والجواب" انها ظنيات سمعية ، فـي معارضة قطعيات عقليـة ، فيقطع بأنها ليست على ظواهرها ، ويفوض العلم بمعانيها الى الله تعالى ، مع اعتقاد حقيقتها جريا على الطريق الأسلم الموافق للوقـــف على لفظ الجلالة في قوله تعالى (ومايعلم تأويله الى الله) (١) أو تؤول تأويلات مناسبة ، موافقة لماعليه الأدلة العقلية على ما ذكر في كتب التفاسير ، وشروح الأحاديث سلوكا للطريق الأحكم ، الموافق للعطف في قوله تعالى " (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) (٢)

والذى يبدو أن هؤلاء العلماء من الأشاعرة لم يكونوا على رأى واحد في تأويـــل نصوص الصفات الخبرية ، بل ربما كانت لهم مواقف أخرى من تلك النصوص ، حسب ما أوقفهم عليه البحث العلمي ، ومع مرور الزمن وتطاول الأيام ذلك أن ابن تيمية وابن القيم يذكران عن امام الحرمين الجوينى أنه قد رجع عن التأويل الى مذهب السلف ، يقول ابن تيمية ناقلا عنه ذلك من (الرسالة النظامية) " —

((اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، والتزم ذلك في آى الكتاب ، وما صح من السنن ، وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها الى الرب ... والذى نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة " اتباع سلف الأمة ، والدليل السمعي القاطع في ذلك اجماع الأمة ، وهو حجة متبعة ، وهو مستند معظم الشريعة . وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ... وهم صفوة الاسلام ، والمستقلون باعباء الشريعة ، وكانوا لايألون جهدا في ضبط قواعد الملة ، والتواصي بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها ، فلوكان تأويل هذه الظواهـــر سوغا ، أو محتوما ، لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعـــــة ،

---

(١) سورة آل عمران آية (٧)

(٢) سعد الدين التفتازاني " شرح المقاصد ٢/ ٤٩، ٥٠

واذا انصرم عصرهم ، وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع ، فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزه البارى عن صفات المحدثين ، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب تعالى ، فليجر آية الاستواء ، والمجىء ، وقوله تعالى " (لما خلقت بيدى) (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله تعالى " (تجرى بأعيننا) ، وماصح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه) (١)

هذا النص من امام الحرمين الجوينى ، نقلته بطوله عن ابن تيمية ، وعلى الرغم من أن هذا ليس فيه دليل ـ في نظرى ـ على تحول امام الحرمين الى مذهب السلف الا أنه يدل على تحوله من موقف التأويل الى التفويض ، ومذهب التفويض ليس مذهبا للسلف ، وقد قال الامام مالك ـ رحمه الله ـ عن الاستواء عندما سئل عنه " (الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ...) (٢)

فان هذا النص من الامام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ يفيد أن مذهب السلف هو التفويض في الكيف لا في المعنى .

وأيا كان الأمر فالنص ـ المنقول عن امام الحرمين ـ يفيدنا ما سبق أن قلنا ، من أنه قد تحول من موقف الى آخر .

أما الغزالي " فقد رأى أن عوام الناس فقط يجب أن يبعدوا عن الخوض في نصوص الصفات وتفسير ظواهرها .

يقول الغزالي بعد أن أورد آية الاستواء وحديث النزول " (قلنا الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل ، ولكن نذكر منهجا في هذين الظاهرين يرشد الى ماعداه ، وهو أنا نقول " الناس في هذا فريقان ، عوام وعلماء ، والذى نراه اللائق بعوام الخلق أن لا يخاض بهم في هذه التأويلات ، بل ننزع عن عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ويدل على الحدوث ، ونحقق عندهم أنه موجود ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

---

(١) ابن تيمية " الحموية الكبرى ضمن مجموع الفتاوى ٥/ ١٠٠، ١٠١ وابن القيم " اعلام الموقعين ٤/ ٣١١ (٢) الذهبي " العلو للعلي الغفار ص١٠٤، واللالكائي " شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ورقة ٩٢، وقد ورد هذا النص ايضا عن شيخ مالك (ربيعة بن ابي عبد الرحمن) عندما سئل عن كيفية الاستواء فقال (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول . الذهبي " العلو للعلي الغفار ص٦٨

واذا سألوا عن معاني هذه الآيات أجروا عنها ، وقل " لمن هذا بمتصكم فادرجوا فلكل علم رجال) (١)

واما الرازى ، فبالرغم من مؤلفاته المديدة التي ذكر فيها تأويل نصوص الصفات الخبرية ، وخاصة كتابه (أساس التقديس) الذى ذكر فيه جملة من الآيات والاحاديث المتعلقة بصفات الله تعالى ، وتأولها جميعها ، بالرغم من ذلك فانه يحكى عنه أنه رجع عن موقفه هذا الى مذهب السلف في اثباتها على الوجه الذى يليق بالله تعالى ، مع عدم مشابهته لمخلوقاته .

ينقل ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم قول الرازى في هذا الصدد ، وهو ما ذكره في كتابه (أقسام اللذات) الذى كان آخر مصنفاته ، يقول الرازى (لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الاثبات (الرحمن على العرش استوى) (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وأقرأ في النفي (ليس كمثله شئ) (ولا يحيطون به علما) ، (هل تعلم له سميا) ، ثم قال " ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى ... الخ) (٢)

فالرازى ـ اذن ـ يصف الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تأويل ، ولا تشبيه ، وهذه هي طريقة السلف واتباعهم ، ومنهم المتقدمون من الأشاعرة الذين سنأتي على الحديث عنهم .

المتقدمون من الأشاعرة "

مثل أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعرى ، وأبي بكر الباقلانى وهؤلاء يثبتون الصفات الخبرية ، من الاستواء ، والوجه ، واليدين وغيرها مما وصف الله به نفسه في كتابه الكريم ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة الوارد عن الأئمة الثقات .

---

(١) الغزالي " الاقتصاد في الاعتقاد ص١٠٢ الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م

(٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٤ / ٧٢ ، ٧٣ ، ابن القيم " اجتماع الجيوش الاسلامية ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

يقول ابو الحسن الأشعري في كتابه (الابانة عن أصول الديانة) ((٠٠٠قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عز وجل ، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبماكان يقول به أبو عبد الله ـ احمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ـ قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق (عند ظهور الضلال) ورفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ٠٠٠وجملة قولنا ٠٠٠ أن الله استوى على عرشه كما قال "(الرحمن على العرش استوى) وأن له وجها كما قال "(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال "(خلقت بيدي) وكما قال "(بل يداه مبسوطتان) وأن له عينا بلا كيف كما قال "(تجري باعيننا) ٠ (١)

الى آخر ما ذكره في كتابه الابانة ، من الأقوال ـ اجمالا وتفصيلا ـ والتي تتفق مع مذهب السلف ، وقد ذكر مثل هذا في كتابه (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) (٢) وقد اكتفينا بهذا القدر مما نقلناه عنه من كتاب الابانة ٠ ولعلنا نجد مناسبة في الفصل الاخير من هذا البحث وهو فصل (مقارنة مذهب ابن الجوزي بمذهب الامام احمد ، لنذكر المزيد من كلام أبي الحسن الأشعري ان شاء الله حسب ما يقتضيه المقام ٠

وأما أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، الذي قال عنه ابن تيمية "(انه أفضل المتكلمين المنتسبين الى الأشعري ، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده) (٣)

---

(١) أبو الحسن الأشعري " الابانة عن اصول الديانة ص٨و٩

(٢) أبو الحسن الأشعري" مقالات الاسلاميين ١ / ٣٤٥

(٣) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥ / ٩٨ ط الرياض ٠

فانه قال في كتابه (التمهيـــد)"

(فان قال قائل " فهل تقولون ان الله في كل مكان ؟ قيل معاذ الله بـــل هو مستو على العرش كما أخبر في كتابه ، فقال عز وجل "(الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى "(اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ، وقال ـ تعالى ـ (أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ، ولو كان في كل مكان، لكان فـــي جوف الانسان ، وفي فمه وفي ... المواضع التي يرغب عن ذكرها ... ، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه كما قال الشاعر "

قد استوى بشـــر على العـــراق ٠

لأن الاستيلاء ، القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادرا قاهرا عزيزا مقتـــدرا ، وقوله ـ تعالى ـ (ثم استوى) يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فيطـل ما قالوه ٠ ،

ثم قال " فان قال قائل " ففصلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله ، لأعـــرف ذلك ، قيل له "

صفات ذاتـه "

هي التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها ، وهي الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، و الكلام ، والارادة ، والبقاء ، والوجه ، واليدان ، ، والعينان ، والغضب ، والرضـا ٠

وصفات فعله هي"

الخلق ، والرزق ، والعدل ، والاحسان ، والتفضل ، والانعام ، والثـــواب ، والعقاب ، والحشر ، والنشـر ، وكل صفة كان موجودا قبل فعله لها) (١)

---

(١) أبو بكر الباقلاني" التمهيد في اصول الدين ص٢٥٨ وما بعدها المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧م منشورات جامعة الحكمة ببغداد ٠

وقد نقل ابن تيمية وابن القيم عن الباقلاني ـ ايضا ـ من كتابه (الابانـــة) ما يشبه كلامه في التمهيد ، وذكر ابن القيم عنه ما كتبه في (رسالة الحيرة) مايطابق كلامه في الكتابين السابقين (التمهيد والابانة) (١) كل ذلـــك يدل على أن الباقلاني يقول بقول امامه أبي الحسن الاشعري في اثبـــات الصفات الخبرية ، وهو الرأى الذى سبق أن قلت " انه موافق لما كان عليـــه السلف من اثبات صفات الله تعالى كما وردت في الكتاب والسنة ، الصحيحة .

الكراميـــة "

تعد الكرامية من الفرق التى تثبت الصفات لله تعالى الا أنهم قـــد غالوا في الاثبات حتى اعتبروا من المجسمة ، وفي ذلك يقول الشهرستاني ناقلا مذهبهم "

(نص أبو عبد الله على أن معبوده على العرش استقرارا ، وعلى أنه بجهة فوق ذاتا ، وأطلق عليه اسم الجوهر ، وأنه مماس للعـــــرش من الصفحة العليا ، وجوز الانتقال والتحول ، والنزول ، ومنهم من قال " انه على بعض أجزاء العرش ، وقال آخرون " اتصال العرش به وقال المتأخرون منهم " انه تعالى بجهة فوق ، وأنه محاذ للعرش) (٢)

وبعد عرضنا لآراء هذه الفرق ننتقل لعرض آراء ابن الجوزى في الصفات الخبرية لنتمكن بعـــد ذلك من أن نقف على حقيقة موقفه مـــن هذه الصفات والى أى مذهب ينتمى .

---

(١) ابن تيميـــة " مجموع الفتاوى ٥/ ٩٨، ٩٩

ابن القيم " اجتماع الجيوش الاسلامية ص ١٤٧

(٢) الشهرستاني " الملل والنحل ١/ ١٠٨، ١٠٩

((موقف ابن الجوزي من الصفات الخبرية))

يعتبر ابن الجوزي نفسه مدافعا عن مذهب الامام احمد ـ رحمه الله تعالى ـ ومبينا لرأيه ، ونافيا عنه كذب المنقولات ـ كما يقول ـ وهذيان المقولات ، وذلك بتأليفه كتاب (دفع شبهة التشبيه) الذي كتبه ليناقش فيه ثلاثة من المؤلفين الحنابلة (١) حيث اعتبرهم مشبهة باثباتهم الصفات الخبرية ، ورفضهم مذهب التأويل .

لقد سلك ابن الجوزي في هذا الكتاب طريقة (التأويل) فأول جميع النصوص الواردة في الصفات الخبرية ، لذا فان كثيرا من العلماء الذين يرون تأويل نصوص الصفات ، يرون في قول ابن الجوزي هذا دليلا لهم ضد من يعارض التأويل وخاصة الحنابلة منهم ، لأنهم يرون هذا من ابن الجوزي وهو الناطق ـ كما يدعي ـ بمذهب الامام احمد ـ رحمه الله تعالى ـ يرون في اقواله هذه أنها المعبرة عن المذهب السلفي ، وما عداها من الأقوال ، انما هي تشبيه وتجسيم .

بينما يرى الذين يقفون من التأويل موقف المعارض أنه لا حجة في أقوال ابن الجوزي هذه ، وان ادعى أنها رأي الامام احمد ، فان العبرة عندهم بما في الكتاب والسنة ، وأقوال الأئمة . وما في الكتاب والسنة ، وما جاء من الأئمة ـ ومنهم الامام احمد رحمه الله تعالى لا يتفق وأقوال ابن الجوزي في كتابه (دفع شبهة التشبيه) ، فلا حجة ـ اذن ـ في أقواله لمن يتخذها دليلا على مخالفهم .

---

(١) المؤلفون الثلاثة هم :

١ ـ أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

٢ ـ القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

٣ ـ ابو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي ، المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ، وهو احد شيوخ ابن الجوزي ـ كما تقدم ـ

والذى يبدو، أن أقوال كل من الفريقين ـ سواء من يناصر ابن الجوزى ، أومن يعارضه ـ قد اعتمدوا فيها على ما وجدوه له في كتابه (دفع شبهة التشبيه)، والحق أن هذا الكتاب وحده لا يمكننا أن نعتمد عليه اذا ما أردنا أن نعرف موقفه الحقيقي من الصفات الخبرية ، لأن الرجل كان كثير التأليف ، وقد ذكر آراءه في أكثر من كتاب، والباحث المنصف لا يجوز له أن يأخذ رأى العالم من كتاب واحد له ، بل يجب أن يرجع الى ما يمكنه الرجوع اليه من مؤلفاته ، ويقارن بينها ـ ان وجد بينها اختلافا ـ ليرى هل يمكن الجمع بين آرائه فيها ، والا اعتبر الرأى المتأخر ناسخا للمتقدم ، أو كان المؤلف متناقضا مع نفسه .

لقد بحث ابن الجوزى ـ كما قلنا ـ موضوع الصفات الخبرية في أكثر من مؤلف وتطرق لبحثها في أكثر من موضع ، ومن ضمن هذه المؤلفات كتابه (مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية) والذى تحدث فيه عن بعض الصفات الخبرية ، وذلك اجابة عن سؤال وجه اليه ، يقول السائل فيه " ما تقول في أخبار الصفات ؟

فأجاب ابن الجوزى" بأن الله تعالى ، يوصف باليدين ،، والوجه ، والعين على الوجه الذى يليق به تعالى . وأورد الأدلة من الكتاب والسنة على صحة ما ذهب اليه ، ثم عقب ذلك بقوله " ان الخلاف ليس في اثبات هذه الصفات وانما الخلاف في اثباتها جوارح لله ، تعالى الله عن ذلك .

كما ذكر أن الخلاف قائم بين المعتزلة الذين عطلوا الله عن صفاته والمشبهة الذين مثلوا الله بخلقه ، وأهل السنة الذين وحدوا الله ونزهوه عن مشابهة خلقه . وقد استطرد ابن الجوزى في الحديث ، فذكر حجج المعتزلة ومناقشتها ، وها نحن نذكر ما أجاب به السائل ليزداد الموقف وضوحا وقد كان السؤال هو " ما تقول في أخبار الصفات ؟

فأجاب ابن الجوزى بقوله "

((اعلم أن الحق موصف باليدين ، والوجه ، والعين على الوجه الذى يليق به .

أما اليدين (١)

فقد قال تعالى ـ "(ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقال "
(بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)
وقال النبي صلى الله عليه وسلم "(الحجر الاسود يمين الله في أرضه ، وكلتا يديه يمين)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده)
فيوجب القول بذلك والتسليم له و نفي التشبيه عنه .

وأما الوجه "

فقد قال تعالى "(ويبقى وجه ربك) وقال "(كل شئ هالك الا وجهه)

وأما العين "

فقد قال تعالى "(ولتصنع على عيني)"

يقول ابن الجوزى "
وليس الخلاف في اليد ، وانما الخلاف في الجارحة ، وليس الخلاف في الوجه وانما الخلاف في الصورة الجسمية ، وليس الخلاف في العين وانما الخلاف في الحدقة .

فالمعتزلة" يذهبون الى التعطيل والتمويه . والمشبهة"الى التمثيل وأهل السنة الى التوحيد والتنزيه .

فالمعتزلة جحدوا ، والمشبهة الحدوا ، وأهل السنة وحدوا . (٢)

ثم أخذ ابن الجوزى يورد اعتراضات المعتزلة ويناقشها ، فقال "(فالمعتزلة قالوا " المراد باليد القدرة أو النعمة ، والمراد بالوجه الذات في قوله ـ تعالى ـ(كل شئ هالك الا وجهه) ...

---

(١) الصواب" (أما اليدان) ولعل التقدير (أما صفة اليدين)

(٢) ابن الجوزى" مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية صـ ١، ٢

وقول المعتزلة " ان المراد باليد القدرة باطل، لأنه يؤدي الى أن تكون للحق سبحانه قدرتان فانه قال " ـ تعالى ـ "(بيدي) وأجمع المسلمون قاطبة أنه لايجوز أن تكون لله ـ تعالى ـ قدرتان ، ثم هم يوافقون على أن لله تعالى قدرة واحدة فكيف يتأولون تأولا يخالف مذهبهم واجماع المسلمين، وكذلك لايجوز أن يقال " ان الحق تعالى خلقه بنعمتين، لأن النعمة مخلوقة ، والحق لايخلق الخلق بمخلوق ، لأنه لوخلق بمخلوق لكان محتاجا اليه ، وهو منزه عن الاحتياج ، ولوكان الامر كما زعموا لما كان لآدم فضيلة على ابليس أن يقول " وأنا بيدك خلقتني التي هي قدرتك ونعمتك ... وقوله تعالى "(بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) فأثبت لنفسه اليدين ونفى الغل عنهما ... وقول المعتزلة " انه أراد بالوجه الذات فباطل، لأنه أضافه الى نفسه ، والمضاف ليس كالمضاف اليه ، لأن الشئ لايضاف إلى نفسه ، ثم لوكان وجهه هو ذات الله لجاز أن يقال نحن نعبد وجه الله ، ونقول يا وجه اغفر لي ، فلما لم يجز الاجماع دل على فساد ماقالوه) (١)

ويتضح لنا من نص ابن الجوزي ومناقشته لآراء المعتزلة ، أنه يصف الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، على الوجه الذي يليق بالله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل .

وقد أيد قوله بما ذكره في تفسيره "(زاد المسير) عند الكلام على صفة (اليد) بما نقله عن الزجاج ، حيث رد القول بأن المراد باليد " القدرة أو النعمة ، فقال "

(قال الزجاج " وقد ذهب قوم الى أن معنى (يدالله) نعمته ، وهذا خطأ ينقضه ـ قوله تعالى ـ "(بل يداه مبسوطتان) فيكون المعنى على قولهم " نعمتاه ونعم الله أكثر من أن تحصى) (٢)

---

(١) ابن الجوزي" مجالس ابن الجوزي ص ٢ـ٣

(٢) ابن الجوزي" زاد المسير ٢/ ٣٩٣

ولكن هل سار ابن الجوزى على هذا المنوال من تقرير مذهب السلف ووصف الله تعالى بما وصف به نفسه على الوجه الذى يليق به تعالى دون مشابهته لخلقه ، أو أن ابن الجوزى له آراء أخرى تخالف ما قرره في مجالسه ؟

الحقيقة أن لابن الجوزى أكثر من رأى ، فبينما رأيناه قد اثبت اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وعظمته ، نجده في موضع آخر ينفي هذه الصفة ، ويستدل على نفيه لها بما سبق أن أبطله هو في معرض مناقشته للمعتزلة ، يقول ابن الجوزى في (دفع شبهة التشبيه) عند الكلام على صفة (اليد) في قوله تعالى " (لما خلقت بيدى)

(اليد في اللغة بمعنى النعمة ، والاحسان ، ... واليد القوة ، يقولون " له بهذا الأمر يد ، وقوله تعالى — " (بل يداه مبسوطتان) أى نعمته وقدرته ، وقوله تعالى " (لما خلقت بيدى) أى بقدرتي ونعمتي .

و قد أجاب بهذا على القاضي أبي يعلى حيث أثبت اليد صفة لله تعالى كما أجاب عليه فيما احتج به هو سابقا على المعتزلة من أن اليد لو لم تكن صفة لله تعالى لما كان لآدم مزية على غيره . (١)

أما ما نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه قال (ان الله خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده) حيث أثبت به اليد صفة لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية) فقد قال عنه في كتابه (دفع شبهة التشبيه) انه قول بعض التابعين ولا يثبت عن قائله) (٢)

وهو بهذا قد وقع فيما عابه على من تصدى لمناقشتهم في كتابه (دفع شبهة التشبيه) حيث اتهمهم بأنهم (لم يفرقوا بين حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي

---

(١) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص ١١ ، ١٢

(٢) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص ٧ ، وفيه " (وغرس جنة الفردوس بيده) بدلا من (جنة عدن) في كتاب (مجالس ابن الجوزى)

فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا) (١)

أما الحديث الآخر الذى استدل به على اثبات صفة اليد لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزى) والذى نصه "

(الحجر الأسود يمين الله في الأرض وكلتا يديه يمين) فقد قال فيه ابن تيمية " انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد لا يثبت والمشهور انما هو من ابن عباس ...) (٢)

وفي احتجاج ابن الجوزى بهذا الحديث مع عدم ثبوته ، ونسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قول صحابي يجعله ، يقع في تناقض واضطراب اذ يحتج بما عاب به غيره حيث قال في موضع آخر من كتابه "(دفع شبهة التشبيه) لمن ناقشهم من الحنابلة " (انهم لم يفرقوا في الاثبات بين خبر مشهور ... وبين حديث لا يصح) (٣)

أما الصفة الأخرى التى أثبتها لله تعالى في كتابه (مجالس ابن الجوزى) وهي صفة الوجه ، والتى دلل على ثبوتها بالآيات القرآنية . فاننا اذا استعرضنا آراءه في مؤلفاته الأخرى فاننا سوف لا نجده أحسن حالا عما وجدناه في الصفة التى قبلها وهي صفة اليد .

فمن الآيات التى استدل بها ابن الجوزى على اثبات صفة الوجه ، قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) وقد رأينا من مناقشته للمعتزلة كيف رفض القول بأن المراد بالوجه الذات ، لأن الشئ لا يضاف الى نفسه ، أما في تفسيره (زاد المسير) فانه يقول في تفسير قوله تعالى "(ويبقى وجه ربك) أى "ويبقى ربك (٤) وقد أكد في كتابه (دفع شبهة التشبيه) أن المراد بالوجه الذات لأنه لو كان المراد به صفة زائدة على الذات لكان المعنى المراد في قوله تعالى "(كل شئ هالك الا وجهه) ان ذاته تهلك الا وجهه) (٥)

---

(١) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص٩ (٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٦/ ٣٩٧

(٣) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص٨ (٤) ابن الجوزى " زاد المسير ٨/ ١١٤

(٥) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص١

ومن نصوص ابن الجوزي التي أوردناها من مؤلفاته "(مجالس ابن الجوزي) و(دفع شبهة التشبيه) و(زاد المسير) يتضح لنا ما وقع فيه من اضطراب وعدم ثبات على رأي واحد، ولكنه في كتابه (تلبيس ابليس) يظهر لنا بموقف آخر لا يجزم فيه برأي بل يقرر ما يدل على أنه يميل الى التفويض.

وأخيرا يقرر ـ في نفس الكتاب ـ أن عقيدته هي " ماكان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يقول ابن الجوزي في ذلك "ـ

(ومن الناس من يقول " لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته ، لقوله عزوجل (ويبقى وجه ربك) ولله (يد) ... وهذا كله انما استخرجوه من مفهوم الحس، وانما الصواب قراءة الآيات ، والأحاديث من غير تفسير، ولا كلام فيهما وما يؤمن (١) هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة، وعلى هذا فسر الآية المحققون ، فقالوا "(ويبقى ربك ، وقالوا في قوله تعالى "(يريدون وجهه) "يريدونه) (٢) وبعد أن تعرض ابن الجوزي لتفسير ما نهى عن تفسيره من آيات الصفات وأحاديثها قال "(والذي أراه السكوت عن هذا التفسير أيضا ، الا أنه يجوز أن يكون مرادا ...)(٢)

وهذا الرأي لابن الجوزي يدل على أنه يميل الى التفويض وعدم البحث في آيات الصفات وأحاديثها ، ويعتبر هذا القول منه عدولا عما انتهجه فيما عرضناه له من آراء ، حيث كان في بعضها يتعرض للآيات والأحاديث بالتفسير باثبات ما تضمنته من صفات الله تعالى ، كما هو الحال في كتابه (مجالس ابن الجوزي) كما كان يتعرض لتلك النصوص بالتأويل كما هو واضح في كتابه (دفع شبهة التشبيه) وفي كلا الرأيين ما يناقض القول بالتفويض الا أن ابن الجوزي عاد في فصل آخر من كتابه (تلبيس ابليس) فقرر أنه يقول بما كان عليه

---

(١) أي وما يدريهم .

(٢) تلبيس ابليس" لابن الجوزي ص ٩٦ .

م/ب

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، يقول ابن الجوزى في ذلك "
(فان قال قائل : قد عبت طريق المقلدين في الأصول ، وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس ابليس؟ فالجواب " ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتابعوهم باحسان ، من اثبات الخالق سبحانه ، واثبات صفاته — تعالى — على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ، ولا بحث عما ليس في قوة البشر ادراكه) (١)

ويتضح لنا من نص ابن الجوزى هذا أنه يقول بقول السلف ، من اثبات صفات الله تعالى ، كما وردت بها الأخبار في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة على الوجه الذى يليق بالله تعالى ، اثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، مع تفويض العلم بكيفية تلك الصفات الى الله تعالى ، لأن العلم بكيفيتها يتوقف على العلم بحقيقة الذات ، وذلك ليس في مقدور البشر الاطلاع عليه .

ولكن هل استقر ابن الجوزى على هذا الرأى ، ولم يقل بما يخالفه ؟

ان من يستعرض كتاب ابن الجوزى (صيد الخاطر) يجد فيه ما يناقض ما قرره في كتابه (تلبيس ابليس) بل ان في كتابه (صيد الخاطر) ما ينقض بعضه بعضا ، وسنورد بعض تلك النصوص للتدليل على صحة ما نقول .

لقد بحث ابن الجوزى موضوع الصفات في عدة فصول من كتابه (صيد الخاطر) وأول هذه الفصول هو الفصل (٤٣) حيث ذكر أن النجاة في التسليم لما ورد من صفات الله تعالى في كتابه وجاءت به رسله ، وأن لا نزيد على ذلك ، وأن كثيرا ممن تكلم في صفات الله تعالى بآرائهم لم يستفيدوا من بحثهم بل عاد عليهم بالوبال .

يقول ابن الجوزى في هذا "

(رأيت كثيرا من الخلق ، وعالما من العلماء ، لا ينتهون عن البحث عن أصول الأشياء التى أمروا بعلم جلها ، ومن غير بحث عن حقائقها) .

---

(١) ابن الجوزى " تلبيس ابليس ص ٩٧ .

ويضرب لذلك مثلا بالروح والعقل حيث لا ينكر وجودهما ، وكلاهما يعرف بآثاره لا بحقيقة ذاته ، وابن الجوزى اذ يورد هذين المثالين انما ليدلل على أنه اذا كانت بعض مخلوقات الله تعالى تخفى علينا حقيقتها فالله تعالى أجل وأعلى .

ويتابع حديثه في هذا الفصل فيقول "

(فينبغي أن يوقف في اثباته ـ أى الله تعالى ـ على دليل وجوده .. .. ثم نتلقى أوصافه من كتبه ورسله ، ولا يزاد على ذلك ، ولقد بحث خلق كثير عن صفاته بآرائهم فعاد وبال ذلك عليهم ، واذا قلنا انه موجود ، وعلمنا من كلامه أنه سميع بصير ، حي قادر ، كفانا هذا في صفاته ، ولا نخوض في شئ آخر ... ولم يقل السلف استوى على العرش بذاته ، ولا قالوا ينزل بذاته ، بل أطلقوا ما ورد من غير زيادة ، وهذه كلمات كالمثال فقس عليها جميع الصفات ، تفز سليما من تعطيل ، متخلصا من تشبيه) . (١)

وقد أعاد هذا القول في الفصل(٤٩) حيث انتقد المشبهة الذين يحملون الأحاديث على ظاهرها ، ويرى (انهم لو أمرّوا الأحاديث كما جاءت سلموا ، لأن من أمرّ ما جاء من غير اعتراض ولا تعرض ، فما قال شيئا لا له ولا عليه ، ... وهذه طريقة السلف ، فأما من قال الحديث يقتضي كذا ، ويحمل على كذا ، مثل أن يقول " استوى على العرش بذاته ، وينزل الى السماء الدنيا بذاته ، فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل)(٢)

والحق هنا مع ابن الجوزى في أن السلف أمرّوا الأحاديث كما جاءت من غير تعرض لها بالتأويل ، ولم يبحثوا في كيفية تلك الصفات لأنه لا يعلم كيفيتها الا الله ، أما من قال " (استوى على العرش بذاته ، وينزل بذاته) فلعل ذلك كان رد فعل ضد أولئك الذين قالوا " ان الله في كل مكان ، وليس على العرش ، فقيل بل على العرش بذاته ، ومن قال تنزل رحمته ، قيل له

---

(١) ابن الجوزى " صيد الخاطر ص٤٣

(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل(٤٩)

بل ينزل بذاته ، فهذا حديث كرد فعل لهذه الأقوال ، والأمثلة على ذلك كثيرة بين الفرق .

أما في الفصل (٦١) فانه يسلك طريق الغزالي في تقسيم الناس الى عوام وعلماء ، فيرى أن الأصلح للعوام أن يقال لهم أمرّوا هذه الأحاديث كما جاءت ولا تتعرضوا لها بالتأويل لأن الله تعالى ، وصف نفسه بصفات تقرر وجوده في النفوس مثل الاستواء على العرش ، والنزول الى سماء الدنيا والغضب والرضا ، وغير ذلك وكل ذلك انما يقصد به حفظ الاثبات ، أما العالم فلا يخفى عليه أنه لا يجوز أن يكون استوى كما يعلم ، ولا يجوز أن يكون معمولا ، ولا أن يوصف بملاصقة ومس . .)

ويقول أيضا في هذا الفصل "

(ان المراد منك الايمان بالجمل وما أمرت بالتنقير ، مع أن قوى فهمك تعجز عن ادراك الحقائق . . . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم . . . يرضى من الناس بنفس الاقرار واعتقاد الجمل ، وكذلك كانت الصحابة فما نقل عنهم أنهم . . . قالوا استوى بمعنى استولى ، وينزل بمعنى يرحم بل قنعوا باثبات الجمل التي تثبت التعظيم عند النفوس) (١)

وابن الجوزى مصيب فيما قال " من أن البحث عن الحقائق ليس في مقدور البشر وهذا أمر متفق عليه ، لا خلاف فيه ، وانما الخلاف في اثبات ما دلت عليه تلك الصفات أو نفيها ، وهو مصيب أيضا فيما قال " من أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينقل عنهم أنهم قالوا " استوى بمعنى استولى ، وينزل بمعنى يرحم ولكن ابن الجوزى في كتابه "(دفع شبهة التشبيه) قال " . . . والاستواء الاستيلاء على الشئ ، قال الشاعر "

اذا ما غزا قوما أباح حريمهم وأضحى على مامكوه قد استوى (٢)

بينما يقول هذا نراه ينقل عن ابن الاعرابي في كتابه "(زاد المسير) أنه

---

(١) ابن الجوزى " صيد الخاطر ص(٦١)

(٢) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص١٨

لايعرف في اللغة الاستواء بمعنى الاستيلاء ، يقول ابن الجوزى في ذلك عند قوله تعالى "(ثم استوى على العرش) (١)

(واجماع السلف منعقد على أن لايزيدوا على قراءة الآية ، وقد شذ قوم فقالوا العرش بمعنى الملك ... وبعضهم يقول " استوى بمعنى استولى ، ويحتج بقول الشاعر"

حتى استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

ويقول الشاعر ايضا "

هما استويا بفضلهما جميعا على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند اللغويين ، قال ابن الأعرابي "

العرب لاتعرف استوى بمعنى استولى ، ومن قال ذلك فقد اعظم .

قالوا " وانما يقال استولى فلان على كذا ، اذا كان بعيدا منه غير متمكن منه ، ثم تمكن منه ، كذا قال ابن فارس اللغوى ، ولو صحا فلا حجة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستوليا ، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة ، وتشبيه المجسمة) ا.هـ (٢)

وهذا من ابن الجوزى اضطراب واضح وتناقض بيّن.

ولنتابع حديث ابن الجوزى عن الصفات في كتابه (صيد الخاطر) حيث يرى في الفصل(١٢٣) ما أرتآه في الفصل السابق(٦١) من تقسيم الناس الى عوام وعلماء ، ويصرح في هذا الفصل أن التشبيه أصلح للعوام من التنزيه يقول ابن الجوزى"

((قدم الى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم فارتقوا منابر التذكير للعوام ، فكان معظم مجالسهم أنهم يقولون ... ان الله ليس في السماء ، وأن الجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم " أين الله ؟ كانت خرساء فأشارت الى السماء أى ليس هو من الأصنام التى تعبد في الأرض ، ... فان قال قائل " فما جوابنا من قولهم ؟ قلت " اعلم وفقك الله تعالى أن الله عز وجل ورسوله (رضيا) (٣) من الخلق بالايمان بالجمل ، ولم يكلفا معرفة

(٢) ابن الجوزى" زاد المسير ٣/ ٢١٢، ٢١٣

(٣) في الأصل (قنعا)

(١) سورة الأعراف آية (٥٤)

التفاصيل ، إما لأن الاطلاع على التفاصيل يخبط العقائد ، وأما لأن قوى البشر تعجز عن مطالعة ذلك ،... فان ما دونها لا يمكن تحقيقه على التفصيل كالروح مثلا ، فانا نعلم وجودها في الجملة ، فأما حقيقتها فلا ، فاذا جهلنا حقائقها كنا لصفات الحق أجهل ، فوجب الوقوف مع السمعيات مع نفي ما (لا) يليق بالحق ، لأن الخوض يزيد الخائض تخبطا ، ولا يفيده تحصيلا ، بل يوجب عليه نفي ما يثبت بالسمع من غير تحقيق أمر عقلي ، فلا وجه للسلامة إلا طريق السلف ، وكذلك أقول " ان اثبات الاله بظواهر الآيات والسنن ألزم للعوام من تحديثهم بالتنزيه ، وان كان التنزيه لازما ، وقد كان ابن عقيل يقول " الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآى والسنن ، لانهم يأنسون بالاثبات فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسات والحشمة ، وتهافت العوام في التشبيه " (١) أحب الى من اغراقهم في التنزيه ، لأن التشبيه يخصهم في الاثبات فيطمعوا ويخافوا ...) (٢)

ولنا وقفة مع ابن الجوزى فيما قاله في هذا الفصل في نقطتين "

الأولى "

في نقده لمن فسر حديث الجارية التى سألها الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا "لها أين الله ؟ فأشارت الى السماء ، بأن تسلك اشارة منها الى أنه ليس من الأصنام التى تعبد في الأرض لقد اعتبر ابن الجوزى هؤلاء مبتدعة بعملهم هذا ، ولكننا نعود مع ابن الجوزى الى كتابه (دفع شبهة التشبيه) لننظر ماذا قال من هذا الحديث هناك .

يقول ابن الجوزى بعد أن أورد الحديث المذكور ، وذكر أنه من رواية مسلم "(قلت قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار ، وانما عرف بأشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها) .

(١) لعل الصواب « التشبيه »
(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (١٢٣)

وهـذا التفسير للحديث من ابن الجوزى ، لاخلاف في جزئـه الأول من أن الله لاتحويه السماء ولا الأرض ، لأن الله تعالى بائـن من خلقه باتفاق ، ولكن الجزء الأخير من تفسيره للحديث لا أراه يختلف عما انتقده على أولئك الذين سماهم أعاجم مبتدعة فما ذا يعنى هذا ؟ لقد أوضح مراده فقال " (ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لايحلو شئ من خلقه بحال ، وأنه لايحل في الأشياء بنفسه ، ولايزال عنهـا لأنـه لو حلّ بها كان منها ، ولو زال عنها لتأى عنهـا) (١)

وهذا من ابن الجوزى في حد ذاته تناقض ، اذ كيف يمكن أن يقال " ان الله لايحلو شئ ، ويقال ان الله لايحل في الأشياء ولايزول عنهـا ؟

أما النقطة الثانية "

التى سبقت الاشارة اليها فهي قوله في (صيـد الخاطر)

(ان الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآى والسنـن لانهم يأنسون بالاثبات فمتى محونا ذلك مـن قلوبهم زالت السياسات والحشمة ، وتهافت الصوام في التشبيه أحب الي من اغراقهم في التنزيه ..الخ)

لأننا لو رجعنا الى كتابه (مجالس ابن الجوزى فـي المتشابه من الآيات القرآنية) الذى تحدث في أوله عن الصفات فأثبتها على الوجه الذى يليق بالله تعالى ، وناقش المعتزلة في ردهم لتلك الصفات وتأويلها ، لو رجعنا الى هذا الكتاب لوجدنا ابـن

---

(١) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص٤٥، ٤٦

م/ب

الجوزى يذكر فيه أن القول بالتأويل خير من التشبيه يقول ابن الجوزى "
"... وان لم يمكنك أن تتخلص من شركة التشبيه ... الى التوحيد الا
بالتأويل ، فالتأويل خير من التشبيه) (١)

وهذا لا يتفق مع ما دعا اليه من أن التشبيه أحب اليه من اغراق العوام
في التنزيه ، وذلك في العبارة المتقدمة المنقولة من كتابه (صيد الخاطر)
يضاف الى هذا ، أن هذه العبارة المذكورة في كتابه (مجالس ابن الجوزى)
تخالف ما أثبته في أول هذا الكتاب من صفات الله تعالى على الوجه
الذى يليق بالله كما وردت بذلك الآيات والأحاديث .

أما في الفصل (٧١) فانه يميل الى التفويض في بعض كلامه ثم يعود في
نفس الفصل فيضطرب قوله في الموضوع ، حيث ذكر بعض ما وصف الله به
نفسه ، وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من الاستواء ، والنزول
واليد ، وما الى ذلك ثم ذكر أن الناس " منهم من أنكر الاستواء ، والنزول ،
ومنهم من لم يقف على ما ذكر في الشرع .

يقول ابن الجوزى"

((... فان القرآن والحديث يثبتان (٢) الاله عز وجل بأوصاف تقرر وجوده
في النفوس ، كقوله تعالى "(ثم استوى على العرش) ، وقوله تعالى "(بل
يداه مبسوطتان) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم "(ينزل الله الى السماء
الدنيا)... فجاء أقوام فقالوا " ان الله عز وجل ليس في السماء ، ولا يقال
" استوى على العرش ، ولا ينزل الى السماء الدنيا ، بل ذلك رحمته ، فمحوا
من القلوب ما أريد اثباته فيها ، وليس هذا مراد الشارع .

وجاء آخرون فلم يقفوا على ما حده الشرع ، بل عملوا فيه بآرائهم ، فقالوا
الله على العرش ، ولم يقنعوا بقوله تعالى (ثم استوى على العرش)(٣)

وبعد اعتراض ابن الجوزى على الفريقين ، المؤولة ، والمثبتة ، بما يشعر
منه القول بالتفويض حيث يرى الاكتفاء بقراءة قوله تعالى (ثم استوى
على العرش) وما شابهه ، يقول معترضا على من يأخذ بالظاهر ويدع التأويل
" (ودفن لهم أقوام من أسلافهم دفائن ، ووضعت لهم الملاحدة أحاديث،

---

(١) ابن الجوزى" مجالس ابن الجوزى ص ١٠ (٢) لعل المراد " يصفان الله بأوصاف
(٣) ابن الجوزى" صيد الخاطر فصل (٧١)

فلم يعلموا ما يجوز عليه ـ تعالى ـ مما لا يجوز ، فأثبتوا بها صفاتـــــه ، وجمهور الصحيح منها آت على توسع العرب ، فأخذوه هم على الظاهر) (١)

وهذا القول من ابن الجوزى يبطل اعتراضه على أولئك الذين قال منهم انهم قالوا " أن الله ليس في السماء ، ولا يقال " (استوى على العرش) ، ولا ينزل الى سماء الدنيا ، بل ذاك رحمته ، لأن من يقول هذا يعتمد على أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات ، قد جاءت على توسع العرب ، .

وهذا ـ في نظرى ـ تناقض من ابن الجوزى في فصل واحد لم أجد ما يبرره .

ولا نريد أن نسترسل في ذكر ما قاله ابن الجوزى في كتابه (صيد الخاطر) بالتفصيل ، ولكننا نشير الى انه ذكر في الفصلين "(١٨٩) ، (١٩٤) " أن السلف انما نهوا عن الاشتغال بعلم الكلام لامر عظيم ، وذلك أن علـــم الكلام مما يخبط العقائد ، والتعمق فيه لا يقرب الى معرفة الحقائق ، لأن الأمـر لو كان كذلك لما وقع بين المتكلمين خـــلاف .

يضاف الى ذلك أن الشرب الأول ـ كما يقول ابن الجوزى ـ ما تكلموا فـي شئ من ذلك ، وينتهي الى أنـه لا خير فيمن لم يرض بعقيدة مثل عقيدة الصحابة ، ولا بطريق مثل طريق أحمد والشافعي . (٢)

ولكننا لو رجعنا الى كتابه (مجالس ابن الجوزى) لوجدناه يرد علـــى من يقول " ان الصحابة لم يشتغلوا بالتأويل . بأن الصحابة لم يتركوا ذلـك لكونه محظورا ، وانما لأن البدع لم تظهر بعـــد .

ويرى ابن الجوزى أن من يترك التأويل لأن الصحابة لم يشتغلوا بـــه ، كمن يترك التداوى ، وهو مريض ، لأنـه يرى رجلا صحيحا ، لم يتداو .(٣)

---

(١) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (٧١)
(٢) ابن الجوزى " صيد الخاطر فصل (١٨٩ ، ١٩٤)
(٣) ابن الجوزى " مجالس ابن الجوزى ص ١٠ ، ١١

وبعد ما أوردناه من النصوص من ابن الجوزى من عدة مؤلفات له ، يتبين لنا بوضوح ، مدى ما وقع فيه من اضطراب ، وتناقض ، وعدم ثبات على رأى واحد ، وهذا يؤيد ما قلناه في أول هذا الفصل " من أننا لا نستطيع أن نصدر حكما عادلا على شخص ما ، اذا ما اعتمدنا على كتاب واحد من كتبه ، بل يتطلب منا الموقف أن نطلع على ما كتبه في مؤلفاته الأخرى، ما امكننا ذلك ، حتى يكون حكمنا بعد ذلك حكما عادلا ومنصفا .

ولسائل أن يسأل فيقول " بالرغم من ايرادك نصوصا لابن الجوزى من عدة مؤلفات له ، تدل على تناقضه واضطرابه ، الا أننا مع ذلك نسأل " كيف يمكن أن يكون حكمك عليه بالاضطراب عادلا ؟ ألعل من المحتمل أن يكون احد هذه الآراء سابقا على الآخر ، فيكون المتأخر حينئذ هو الرأى الراجح عنده ، والناسخ للمتقدم ، اما التأويل ، أو التفويض ، أو الاثبات ؟

والجواب على ذلك " أن هذا اعتراض وجيه ، واحتمال وارد ، ولكننا نقول ردا على هذا " أن موضوع الصفات ، من الموضوعات الصعبة والشائكة التى دار حولها خلاف كبير ، وجدل واسع النطاق بين الفرق المختلفة ، حتى رمت الفرق بعضها بعضا بأشنع الألقاب المنفرة ـ كما بينا ذلك سلفا ـ وبناء على هذا فانه اذا كان تعدد آراء ابن الجوزى واختلافها ناتجا عن تقدم بعض هذه الآراء على بعضها الآخر ، فقد كان من الواجب على ابن الجوزى أن يبين في أحد كتبه ، بأنه كان يقول بهذا الرأى " (التأويل ، أو التفويض ، أو الاثبات) ثم رجع عنه ، وهذه الطريقة هي التى اتبعها كثير من العلماء الذين كانت تتغير آراؤهم تجاه ما كانوا يعتقدونه ، وأضرب لذلك مثالا ، بأبي الحسن الأشعرى ، الذى رجع عن عقيدة الاعتزال ، فأبان عن ذلك ، وأبو بكر الباقلاني ، وغيرهما .

يضاف الى ذلك ، أننا قد رأينا أن ابن الجوزى كان يختلف رأيه في الكتاب الواحد ، كما بينا ذلك . فما سبب هذا الاضطراب ؟

يجيبنا ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ على هذا التساؤل في كتابه (ذيل طبقات الحنابلة) فيقول "

((... نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم ـ أى الحنابلة ـ على أى ابن الجوزى ـ الى التأويل في بعض كلامه ، واشتد نكيرهم عليه في ذلك . ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف ، وهو وان كان مطلعا على الأحاديث والآثار في هذا الباب ، فلم يكن خبيرا بعلل شبهة المتكلمين ، وبيان فسادها ، وكان معظما لأبي الوفاء بن عقيل ، يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه ، وان كان قد رد عليه بعض المسائل ، وكان ابن عقيل بارعا في الكلام ، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار ، فلهذا يضطرب في هذا الباب ، وتتلون فيه آراؤه ، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون) (١)

وقد ذكر ابن تيمية أيضا أن ابن الجوزى مضطرب في موضوع الصفات ، وأنه لم يثبت على رأى واحد كأبي الوفاء ابن عقيل ، يقول ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ :

(... وأبو الفرج نفسه متناقض في هذا الباب ، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الاثبات ، بل له من الكلام في الاثبات نظما ونثرا ما أثبت به كثيرا من الصفات التى أنكرها في هذا المصنف (٢) ، فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس يثبتون تارة ، وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات ، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل) (٣)

---

(١) ابن رجب " الذيل على طبقات الحنابلة ١ / ١٤٤ ، طبعة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م

(٢) يشير الى كتاب ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه "

(٣) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٤ / ١٦٩

((الفصـــــــــــــل الرابـــــــع))

((مقـارنـــة منهـج ابن الجـــوزى بمنهج الامـــام أحمـــد
ـ رضي الله عنـه ـ في الصفـات الخبريـة))

((الفصـــــــــل الـــرابـــــع))

((مقارنة منهج ابن الجوزى بمنهج الامام احمد ـ رضي الله عنه ـ في الصفات الخـــــــــبريـــــة))

لقد تبين منهج ابن الجوزى في الصفات الخبرية ، وأصبح رأيه واضحا فيها من خلال عرضنا له في الفصل السابق ، فقد ظهر أنه متناقض في أقوالـــه ، ولا يكاد يستقر على رأى واحد ، فمرة يذهب الى تأويل الآيات والاحاديـــث الواردة فيها ، وأخرى يقول بالتفويض ويكل العلم بها الى الله تعالـــى ، وأحيانا يقول بالرأيين معـــا .

وفي هذا الفصل لا نقصد من عقد هذه المقارنة استقصاء بحث الصفات الخبرية ومقارنة رأى ابن الجوزى فيها برأى الامام أحمـد ، وانما الذى نقصده ـ هنا ـ عـدة أمـور "

الأمـر الأول "

أننا ذكرنا في بداية (الفصل الثالث) أن ابن الجوزى ألّـف كتابه (دفع شبهة التشبيه) ليرد به على بعض الحنابلة المنتسبين الى مذهب الامام أحمد ، والذين نسبوا الى مذهب الامام فـــي الصفات ماليس منـه ، وأن ابن الجوزى أراد بهذا الكتاب أن يبين مذهب الامام ، ويؤيد رأيه فيه بالأدلـة ، غير أن ابن الجـوزى قد سار في هذا الكتاب على منهج التأويل ، ولم يستطع أن يقيم الأدلـة على أن هذا المنهج وهذا الطريق هو رأى الامام احمد الا أن ابن الجوزى قد ذكر قولا للامام احمد ـ سنبينه فيما بعـد ان شاء الله ـ لعله اعتمـد عليه في نسبة التأويل الى الامـام وسنحاول أن نتتبع أقوال ابن الجوزى لنقف من خلال هذه الأقوال ـ أو ما ينقله عنه غيره ـ على ما عساه أن يكون عمـدة ابـن الجوزى في هذه الدعوى التى ادعاها في كتابه (دفع شبهة التشبيه)

الأمر الثاني "

أننا اذا عثرنا على ما اعتمد عليه ابن الجوزى في القول بأن ما ذكره من تأويل الصفات الخبرية هو مذهب الامام احمد ، فان علينا أن نتبين صحة هذه النسبة الى الامام احمد .

الأمر الثالث"

سنحاول أن نذكر ما يؤيد حجة ابن الجوزى أو ينقضها من كلام الامام احمد ، لنقف بعد ذلك على الصلة التى تربط مذهب ابن الجوزى في الصفات الخبرية بمذهب الامام احمد ، معتمدين في ذلك على ما كتبه ابن الجوزى من مؤلفاته ، سواء أكانت في كتابه "(دفع شبهة التشبيه) أم غيره من مؤلفاته الكثيرة والمتعددة .

والآن نبدأ الكلام عن ابن الجوزى فنقول "

الأمر الأول "

وهو بيان ما اعتمد عليه ابن الجوزى في نسبة التأويل الى الامام احمد .

يذكر ابن الجوزى عن الامام احمد أنه قال في قوله تعالى " (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)(١) أن المراد " يأتي أمره وقدرته .

يقول ابن الجوزى في كتابه "(زاد المسير في علم التفسير)(٢) عند تفسير الآية المتقدمة "

قوله تعالى "(الا أن يأتيهم الله) كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا .

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٠)
(٢) ابن الجوزى " زاد المسير في علم التفسير ١ / ٢٢٥
و ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص٢٥

وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن احمد أنه قال " المراد به قدرته وأمره ، قال " وقد بينه في قوله تعالى " (أو يأتي أمر ربك) (١)

ويذكر ابن تيمية أن هذه الرواية المنقولة عن الامام احمد في تفسير هذه الآية ، انما هي من رواية حنبل (٢) ـ ابن عم الامام احمد ـ ، ذلك أن حنبلا نقل عنه في (المحنة) أنهم لما احتجوا عليه ـ في خلق القرآن ـ بقول النبي صلى الله عليه وسلم " (تجئ البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيابتا ن ، أو فرقان من طير صواف) وقالوا له " لا يوصف بالاتيان والمجئ الا مخلوق ، فعارضهم أحمد رحمه الله تعالى بقوله تعالى " (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) قال قيل " انما يأتي أمره .

وقد اختلف اصحاب احمد في هذه الرواية على ثلاث طوائف "

فمنهم من قال "

غلط حنبل ، لم يقل احمد هذا ، وقالوا " حنبل له غلطات معروفة وهذه منها . وهذه طريقة أبي اسحاق بن شاقلا .

ومنهم من قال "

بل أحمد قال ذلك على سبيل الالزام لهم ، يقول " اذا كان قد اخبر ـ تعالى ـ عن نفسه بالمجئ والاتيان ، ولم يكن ذلك دليلا على أنه مخلوق ، بل تأولتم ذلك على أنه جاء أمره ، فكذلك قولوا " جاء ثوابه القرآن لا أنه نفسه هو الجائي .

---

(١) سورة الانعام آية (١٥٨)

(٢) هو (حنبل بن اسحاق أبو علي الشيباني ابن عم الامام احمد قال الخطيب احمد بن ثابت " كان ثقة ثبتا ، وسئل الدارقطني عنه فقال " كان صدوقا ، وقال ابو بكر الخلال " قد جاء حنبل عن احمد بمسائل أجاد فيها الرواية وأغرب بغير شئ) ١٠ . هـ طبقات الحنابلة ١ / ١٤٣ .

ومنهم من قال "

ان احمد قال هذا الكلام ذلك الوقت ، وجعلوا هذه رواية عنه ، ثم من يذهب منهم الى التأويل ـ كابن عقيل وابن الجوزى وغيرهما ـ يجعلون هذه عمدتهم ، حتى يذكرها أبو الفرج ابن الجوزى في تفسيره ، ولا يذكر من كلام احمد والسلف ما يناقضها) (١)

اذن فالعمدة التى اعتمد عليها ابن الجوزى في نسبة التأويل الى الامام احمد هي هذه الرواية المنقولة عن حنبل والتى ذكرها ابن الجوزى في تفسيره (زاد المسير) كما بينا ذلك .

الأمر الثاني "

بيان مدى صحة نسبة التأويل الى الامام أحمد رحمه الله تعالى .

يذكر ابن تيمية أن هذه الرواية التى نقلها حنبل عن الامام احمد في (المحنة) لم ينقلها غيره ممن نقلوا مناظرته في (المحنة) كعبد الله بن احمد ، وصالح بن احمد ، والمروذى ، وغيرهم . (٢)

لذلك فان أبا اسحاق ابن شاقلا اعتبر هذه غلطة من الغلطات المعروفة التى وقعت من حنبل ، حيث أنه قد نسب

---

(١) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠

(٢) ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٥/ ٣٩٩

اليه الغلط في النقل . ومما يرجح قول أبي اسحاق بن شاقلا في أن هذه الرواية قد غلط فيها حنبل ، أن عبدالله بن الامام احمد قد نقل عن أبيه في تفسير قوله تعالى "

(هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) أنه قال "

(يأتيهم الله في ظلل من الغمام ، وتأتيهم الملائكة عند الموت) (١)

فهذا نص من عبدالله بن احمد عن ابيه في موضع الخلاف يؤيد القول بضعف الرواية التي نقلها حنبل عن الامام احمد .

ويرجح القول بأن الامام احمد لم يذهب الى التأويل ، بل فسر الآية على ظاهرها كما وردت .

الأمر الثالث"

سنذكر شواهد من أقوال الامام احمد لنرى بعد ذلك هيل تتفق هذه الأقوال مع ما ادعاه ابن الجوزي من أن التأويل هو مذهب الامام احمد أو تخالفه ؟ .

من المعروف أن الجهمية يقولون " ان الله تعالى في كل مكان ، لايكون في مكان دون مكان . فألف الأمام احمد كتابه المعروف بـ(الرد على الزنادقة والجهمية) وناقشهم في موضوعات كثيرة منها قولهم هذا ، فقال الامام احمد "

(بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش)

(!... وقد قال تعالى "(الرحمن على العرش استوى) (٢)

---

(١) عبدالله بن احمد " كتاب السنة ص ١٦٦ المطبعة السلفية بمكة سنة ١٣٤٩ هـ

(٢) سورة طه آية (٥)

وقال تعالى "(خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش) (١)
وساق في الاستدلال على ذلك ـ بالاضافة الى الآيتين السابقتين ـ آيات كثيرة ، نذكر بعضها . قال الامام احمد "
((... وقد أخبرنا ـ الله تعالى ـ أنه في السماء ، فقال ـ تعالى ـ " (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ، (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) (٢) (اليه يصعد الكلم الطيب) (٣) (وهو القاهر فوق عباده) (٤)) فهذا خبر ، الله أخبرنا أنه في السماء .
وقال الامام احمد في قوله تعالى "(وهو الله في السموات وفي الأرض)(٥) ـ وهو ما استدلت به الجهمية أن يكون الله في كل مكان ـ يقول الله تعالى (هو اله من في السموات واله من في الأرض وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، فذلك قوله تعالى " (٦) (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) (٧)

---

(١) سورة الأعراف آية (٥٤) وسورة الحديد آية (٤)
(٢) سورة الملك آية (١٦ـ١٧)
(٣) سورة فاطر آية (١٠)
(٤) سورة الأنعام آية (١٨) وآية (٦١)
(٥) سورة الأنعام آية (٣)
(٦) سورة الطلاق آية (١٢)
(٧) الامام احمد بن حنبل " الرد على الزنادقة والجهمية ص٩٢ـ١٠٢ ضمن مجموعة (عقائد السلف) تحقيق الدكتور على سامي النشار .

م/ب

ولنا وقفة مع نص الامام احمد هذا في استدلاله على أن الله على العرش، وعلمه في كل مكان ، لنعود الى ابن الجوزى في كتابه (دفع شبهة التشبيه) حيث نجده يذكر هناك ، أن من معاني الاستواء " الاستيلاء ، ويقول "(... ينبغي أن يقال " ليس بداخل في العالم وليس بخارج منه ، لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات . ويقول أيضا "

(... واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى "(اليه يصعد الكلم الطيب ...) وبقوله تعالى "(وهو القاهر فوق عباده) وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية اما أن تكون لجسم أو جوهر ، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال " فلان فوق فلان ، ثم انه كما قال تعالى "(فوق عباده) قال تعالى (وهو معكم) (١) فمن حملها على العلم ، حمل خصمه الاستواء على القهر) . (٢) اهـ

وكأني بابن الجوزى يرد على امامه ـ الذى ادعى أنه يدافع عن مذهبه ـ في استدلاله على علو الله تعالى على خلقه وأنه على عرشه بائن من خلقه بقوله تعالى "(اليه يصعد الكلم الطيب) وبقوله تعالى "(وهو القاهر فوق عباده) بأن المراد من هاتين الآيتين علو المرتبة ، كما يقال فلان فوق فلان وليس المراد العلو الحقيقي ، والا للزم أن نحمل قوله تعالى (وهو معكم) على المعية الحقيقية .

وهذا تباين في الآراء ، واختلاف في المنهج بين ابن الجوزى والامام احمد يؤيد ذلك ما نقله الذهبي أن الامام احمد سئل "(الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ... وعلمه بكل مكان ؟ قال " نعم هو على عرشه ولا يخلو شئ من علمه) (٣)

---

(١) (وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير) سورة الحديد آية (٤)
(٢) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص ١٨، ٢٠، ٢١
(٣) الذهبي " العلو للعلي الغفار ص ١٣ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م

وهذا لا يتفق مع ما قاله ابن الجوزى في كتابه " دفع شبهة التشبيه " حيث يقول "

((ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لا يحله شئ من خلقه بحال، وأنه لا يحل في الأشياء بنفسه ، ولا يزول عنها ، لأنه لو حل بها لكان منهـا ، ولو زال عنها لنأى عنها)) (١)

وقال ابن الجوزى ـ ايضا ـ في كتابه (مجالس ابن الجوزى)"

((... وينتزه ـ تعالى ـ عن قبول الاتصال والانفصال)) (٢)

وهذا القول من ابن الجوزى يخالف تماما قول الامام احمد " بأن الله تعالى بائن من خلقه .

أما صفتا الوجه واليدين ، فقد نقل أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي مذهب الامام احمد فيهما فقال "

(ومذهب أبي عبد الله احمد بن حنبل رضي الله عنه " أن لله عز وجل وجها . لا كالصورة المصورة ، والأعيان المخططة ، بل وجه وصفه بقوله تعالى " (كل شئ هالك الا وجهه) (٣) ومن غير معناه فقد ألحد عنه ، وذلك عنده وجه في الحقيقة دون المجاز ، ووجه الله باق لا يبلى وصفة له لا تفنى ، ومن ادعى أن وجهه نفسه فقد ألحد ... وليس معنى (وجه) معنى (جسد) عنده . ولا (صورة) ولا (تخطيط) ومن قال ذلك فقد ابتدع .

وكان يقول " ان لله تعالى (يدين) وهما صفة له في ذاته ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ، ولا من جنس الأجسام ، ولا من جنس المحدود ، والتركيب ولا الابعاض والجوارح ، ولا يقاس على ذلك ولا له مرفق ، ولا عضد ، ولا فهما يقتضي ذلك من اطلاق قولهم (يد) الا ما نطق القرآن به ، وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السنة فيه . قال الله تعالى "(بل يداه مبسوطتان)(٤)

---

(١) ابن الجوزى " دفع شبهة التشبيه ص ٤٥ ـ ٤٦
(٢) ابن الجوزى " مجالس ابن الجوزى في المتشابه من الآيات القرآنية ص ١٦
(٣) سورة القصص آية (٨٨) (٤) سورة المائدة آية (٦٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "(كلتا يديه يمين) وقال الله عز وجل" (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) (١) وقال "(والسموات مطويات بيمينه (١)) ويفسد أن تكون يده القوة ، والنعمة والتفضل ، لأن جمع يد " أيد ، وجمع تلك أياد .

ولو كانت اليد ... القوة لسقطت فضيلة آدم) (٢)

أما ابن الجوزى فانه قال عن صفتى الوجه واليدين في كتابه "(دفع شبهة التشبيه) "(قال الله تعالى "(ويبقى وجه ربك) (٣) قال المفسرون" يبقى ربك. وقال الضحاك وأبو عبيدة "(كل شئ هالك الا وجهه) أى الا هو وقد ذهب الذين انكرنا عليهم الى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات . فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل الا ما عرفوه من الحسيات وذلك يوجب التبعيض ولو كان كما قالوا كان المعنى " ان ذاته تهلك الا وجهه) (٤)

أما صفة اليدين فقال عنها ابن الجوزى"

(... قوله تعالى "(لما خلقت بيدى).

اليد في اللغة بمعنى النعمة . والاحسان ... واليد القوة ، يقولون له بهذا الأمر يد ، وقوله تعالى "(بل يداه مبسوطتان)أى نعمته وقدرته . وقوله تعالى (لما خلقت بيدى) أى بقدرتي ونعمتى .

وقال ابن الجوزى في الرد على من يقول" لوكان المراد بها القدرة لما كانت لآدم فضيلة "

((... فلا ينبغي أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه السلام مع الغفلة عما يستحقه البارى سبحانه من التعظيم بنفي الأبعاض والآلات) (٥)

---

(١) سورة الزمر آية (٦٧)
(٢) أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز " طبقات الحنابلة ٢/ ٢٩٤
(٣) سورة الرحمن آية (٢٧)
(٤) ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص ١
(٥) ابن الجوزى" دفع شبهة التشبيه ص ١ ـ ١٣
(١) سورة ص آية (٧٥)
م/ب

وهنا يزداد الأمر وضوحا في الفرق بين منهج ابن الجوزى والامام احمد ، وكيف أنهما لا يتفقان في الرأى حول الصفات الخبرية ، ولا نريد أن نستطرد في ذكر الأمثلة من أقوال الامام احمد وابن الجوزى، ولكننا نود قبل أن ننهي هذا الفصل أن نقول " ان مذهب الامام احمد أشهر من أن يحتاج الى بيان . اذ أن الامام احمد أصبح اماما يقتدى به أئمة مشهورون كابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وأبي الحسن الأشعرى الذى سبق أن ذكرنا طرفا من أقواله التى تابع فيها الامام احمد ، ولمزيد الأمر توضيحا ـ هنا ـ نتذكر بعض تلك الأقوال فنقول "

قال ابو الحسن الأشعرى" (فان قال لنا قائل ... فصرفونا قولكم الذى به تقولون ، وديانتكم التى بها تدينون قيل له " قولنا الذى نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل)

الى أن قال " (وأن الله استوى على عرشه كما قال ـ تعالى ـ " (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجها كما قال " (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وأن له يدين بلا كيف كما قال " (لما خلقت بيدى) وكما قال " (بل يداه مبسوطتان) وأن له عينا بلا كيف كما قال " (تجرى بأعيننا) (١) الى آخر ما قال أبو الحسن الأشعرى ، حيث أخذ يعقد لكل صفة بابا خاصا ويستدل لها ، ويرد الشبهة التى أثيرت حولها .

---

(١) أبو الحسن الأشعرى " الابانة عن أصول الديانة ص٨، ٩ ادارة الطباعة المنيرية .

ونستنتج مما تقدم أن منهج ابن الجوزى في الصفات الخبرية لا يتفق مع مذهب الامام احمد فيها ، فقد سار ابن الجوزى فيها على طريقة التأويل أحيانا بالتردد والاضطراب أحيانا أخرى ، أما مذهب الامام احمد فيها فهو " اثباتها لله تعالى كما ورد بها الكتاب والسنة ، من غير تأويل لها وصرف لمعناها عن الظاهر مع تفويض علم الكيفية الى الله تعالى . يقول اللالكائي حاكيا مجمل اعتقاد الامام احمد رضي الله عنه "

((ومن السنة اللازمة التى من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها ، الايمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه والايمان بها ، لايقال " لم ، وكيف ، انما هو التصديق بها والايمان بها ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم له ، فعليه الايمان به والتسليم له مثل حديث الصادق والمصدوق ، وما كان مثله في القدر ، ومثل أحاديث الرؤية كلها وان نبت عن الأسماع ، واستوحش منها المستمع ، فعليه الايمان بها وأن لا يرد منها حرفا واحدا ، وغيرها من الأحاديث المأثورات من الثقات) (١)

وعلى ضوء هذا النص الوارد عن الامام احمد ، والذى دعا فيه الى الايمان بأمور كلها تتعلق بالغيب ، كالايمان بالقدر خيره وشره ، والايمان بالرؤية مما لا يقع شئ منها للحس والمشاهدة ، دعا الى الايمان بها دون سؤال ولا استفسار عنها ، واذا لم يستطع المرء فهم النص الوارد في ذلك ، فانما عليه الايمان به والتسليم له وأن لا يرده لأنه يتعارض مع العقل ، أو لأن فيه نوع غرابة على سمعه ، واستبشع ما دل عليه ، وورد فيه من أمور غيبية لا تخضع لميزان العقل والحس .

---

(١) ابو القاسم هبة الله بن الحسين بن منصور الطبرى اللالكائي " شرح أصول اعتقاد اهل السنة والجماعة ..) ورقة ٤١ . مخطوطة مصورة . جامعة الملك عبد العزيز بمكة .

وعلى ضوء ذلك كله نستطيع أن نقول كلمة أخيرة في هذا الفصل وهي " أن الانسان في هذه الحياة له موقفان من الناحية الفكرية : موقف تجاه خالق هذا الكون ومنشئه والمتصرف فيه . وموقف آخر تجاه الكون نفسه والنظر فيه ، والاعتبار من تكوينه ، وما يدور فيه ويعيش عليه من الكائنات الحية .

أما الموقف الأول "

وهو موقف الانسان تجاه ربه وخالقه ، منشئ الكون والمتصرف فيه ، فهو موقف الايمان الكامل ، والتسليم التام بما ورد عن الله تعالى في كتابه الكريم وعن رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بالله ، والاخبار عن صفاته العليا ، واسمائه الحسنى ، اذ لا طريق الى معرفة ذلك الا الخبر عن الله تعالى وعن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك من الأمور التي لا يمكننا الاطلاع على حقيقتها ، وادراك كنهها ، الا ترى أننا لو افترضنا وجود جماعة من الناس في غرفة موصدة عليهم ، ثم طرق عليهم الباب طارق دون أن يخبرهم باسمه وصفته ، فانهم يذهبون كل مذهب للتعرف عليه وعلى شخصيته ، ولكنه اذا ما أخبرهم باسمه وصفته وحاجته فانه لا يسعهم الا التسليم لما قال ، والتصديق بما أخبرهم به ، وليس في وسعهم أن يشكوا بما أخبرهم به ، لأنه أعلم منهم بنفسه وهو غائب عن أنظارهم فالله تعالى اذا أخبرنا عن نفسه وصفاته لا يسعنا الا الايمان بها دون أن نخوض في البحث فيها أو أن نقيسها بعقولنا التي لا تقف عند حد ، ولا تتفق على رأي ، ولقد رأينا كيف أن المسلمين تفرقوا الى فرق وطوائف عندما أخضعوا أمور الغيب لميزان العقل البشري ، فالبحث في القدر نشأ عنه وجود القدرية والجبرية ، والبحث في ذات الله تعالى وصفاته نشأ عنه وجود المعطلة الذين عطلوا الله عن صفاته ،

التي وصف بها نفسه في كتابه الكريم ، ووصفه بها رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السنة الصحيحة ، كما نشأ منه وجود الشبهة الذين بالغوا في اثبات صفات الله تعالى حتى شبهوه بخلقه تعالى الله عن ذلك ، ولم يتورع الفريقان عما قالوا ، فعلينا أن نؤمن بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما دلت عليه ، بدون تشبيه الله بخلقه ، ولا تعطيل للصفات من مدلولها ، وان رأينا في ذلك غرابة على اسماعنا ، أو رأينا فيها ما يتبادر لنا أنه يتعارض مع العقل ، لأن الايمان بأمور كهذه دون مناقشة هو محك الايمان ، وصدر اليقين الحق والتصديق الكامل بأمور الغيب ، ألا ترى أن الله لم يطالبنا بالنظر والتدبر في تلك الامور الغيبية ، بل امتدح الذين يؤمنون بالغيب وجعل ذلك من صفات المتقين ، كما امتدح الذين يخشون ربهم بالغيب بقوله تعالى في أول سورة البقرة "(الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب . . .) الآية (١) وقال تعالى في سورة الملك "(ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (٢)

أما الموقف الثاني"

فهو موقف الانسان تجاه هذا الكون الكبير والعالم الواسع ، والمخلوقات الكثيرة المتعددة فقد دعانا الله تعالى الى النظر فيها وحثنا على التدبر في وجودها وتكوينها ، نظر تدبر وتفكر وتعقل ، ذلك لأنه واقع محسوس ، وعالم مشاهد ، يزيد نظر التدبر فيه قوة الايمان بالله ، ويجدد

---

(١) سورة البقرة آية (١ ، ٢ ، ٣)

(٢) سورة الملك آية (١٢)

التفكر فيه حقيقة هذا الوجود وغايته ، وهو أن يكون دليلا على خالقه وعظمته لأن ما نشاهده من عظمة هذا الكون يدلنا على عالم نشاهده وأنه أعظم من هذا وأكبر وكما قيل " البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير ، ولقد حثنا الله تعالى على النظر في مخلوقاته ، ليتحقق الايمان بوجوده ويفرد بالعبادة والطاعة دون غيره .

قال تعالى في سورة آل عمران "

(ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) (١)

وقال تعالى في سورة الغاشية " (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت)(٢)

وقال تعالى " (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (٣) وقال تعالى " (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون) (٤)

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩٠ ، ١٩١)

(٢) سورة الغاشية آية (١٧ — ٢٠)

(٣) سورة يونس آية (١٠١)

(٤) سورة الأعراف آية (١٨٥)